سلسلة رسائل الغرباء

(2)

صفة الغرباء

(الفرقة الناجية - الطائفة المنصورة - صفات أخر)

تأليف
فضيلة الشيخ
سَلْمَان بنِ فَهد العَودَة
المشرف العام على موقع الإسلام اليوم

.

بداية الرسالة الثانية

المقـدمة

إن الحمد لله، نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونتوبُ إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسـنا، ومـن سيِّئات أعمالنا، مَن يهده الله فلا مضلَّ له، ومــن يُضْلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلهَ إلا الله وحده لا شريك لـه، وأشـهد أنَّ محمـدًا عبـده ورسـوله صلى الله عليه وسلم.

(**يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنظُـر نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَـدٍ وَاتَّقُـوا اللـهَ إِنَّ اللـهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**)[1].

أما بعد:

فهذه هي الرسالة الثانية في سلسلة "رسـائل الغرباء"، والتي صدرت منها الرسـالة الأولـى قبـل عـــام تقريبًـــا، وكـــانت بعنـــوان: "الغربـــاء الأوّ
َلون: أسباب غربتهم، مظاهرها، كيفيـ ة مواجهتها، أسلوب جديد في دراسة السيرة النبوية".

ولقد لقيت -بحمد اللـه تعـالى- لـدى القـراء الكـرام قبـولاً حسـنًا، وأُعيـدت طباعتهـا فـي جمهورية مصر العربية خلال أشهر، وسوف تطبع الطبعة الثالثة قريبًا إن شاء الله تعالى.

وهـذه هـي الرسـالة الثانيـة، وهـي بعنـوان: "صـفة الغربـاء: الفرقـة الناجيـة، الطائفـة المنصورة، صفات أخرى".

وفـي **الفصل الأول** منهـا دراسـة حديثيـة وافية لحـديث افـتراق الأمـة إلـى ثلاث وسـبعين فرقـة؛ كلهـا فـي النـار إلا واحـدة، مـع عـرض خصـائص الفرقـة الناجيـة، وبيـان مَـن هـي؟ والحديث عن الفرق الهالكة، وهـل هـي كـافرة؟ وما معنى حصرها في ثنتين وسبعين فرقـة؟ ثـم بيان غربة الفرقة الناجية.

أما **الفصل الثـاني**؛ فهـو دراسـة حديثيـة وافيـة لحديث الطائفـة المنصورة؛ لمعرفة ثبوته وتـواتره، ثـم عـرض لخصـائص هـذه الطائفـة ومهمَّاتها، وزمانها ومكانها، وبيان من هي؟

وفي **الفصل الثالث** -وهو الفصـل الأخيـر- دراسة مدى الترابط بين هذه الألقاب الثلاثة:

أ- الفرقة الناجية.
ب- الطائفة المنصورة.
جـ- الغرباء.

حيث يتَّضح جليًّا أن دوائـر النَّجـاة فـي الـدنيا والآخرة ثلاث دوائر، بعضها أضيق من بعض:

- فأوسعها دائرة (الإسلام)، الـذي هـو ضـمانة دخـــــول الجنـــــة؛ فـــــإن اللـــــه تعـــــالى حـــر َم الجنـــــــــــة علـــــــــــى الكـــــــــــافرين، فالجنّ َة لا يدخلها إلا نفسٌ مسلمةٌ، فمَن كان مسلمًا؛ فهـو مـن أهـل الجنـة؛ مرتكبًـا مـا ارتكـب مـن المعاصـــي، مُتّ َبِعًـــــــــــــــــــــــــا مـــــــــــــــــــــــا اتّ َبـــــــــــــــع مـــــــــــــــن البـــــــــــــــدع، ولكنّ َـــه يُعَـــذ َبُ بقدر بدعته ومعصيته ما شاء الله، ثم يصير إلــى الجنة؛ إلا أن يتجاوز الله عنه.

- ثـم **الـدائرة الثانيـة:** دائـرة (**الفرقـة الناجية**)، السالمة من البدع والانحرافات، وهي أضيق مـن الأولـى، ولهـذه الفرقـة مـن الخيريـة والاستقامة والفوز في الدارين مـا ليـس لعمـوم المسلمين؛ لسلامتها مما ابتُلـي بـه عـامتهم مـن الوقوع في أسر الشبهة أو الشهوة.

- وأضيق منها **الدائرة الثالثة،** وهـي دائـرة (**الطائفة المنصورة**)، وهـي جـزء مـن الفرقـة الناجيــة، تميــزت عــن ســائرها بالقيــام بــالأمر، وتحمّــــــــل أعبــــــــاء الجهــــــــاد وتَبعــــــــاته، والتصــــــــــــــــــــــــــــــــــــد ِي للأمـر بـالمعروف، والنهـي عـن المُنْكـر، وبنـاء الحيـاة الإسـلامية علـى ضـوء الكتـاب والسـنة، ومقارعــة الظــالمين، والفاســقين، والمنــافقين، والكافرين.

وهــذا المقــام أشــرف المقامــات، وأعلاهــا، وأسـماها، وأهلـه هـم خاصـة المـؤمنين، وخلاصـة المتّقين، وخيرة أتباع سيد المرسـلين، جعلنـا اللـه منهم أجمعين.

أما بالنسبة للمنهج الذي سلكته في هذه الرسالة من حيث التخريج ودراسة الأسانيد وتراجم الرواة؛ فهو المنهج الذي سلكته في الرسالة الأولى سواء بسواء؛ غير أني أودّ
ُ الإشارة إلى بعض الأمور اليسيرة:

1- اعتمدتُ في إعداد هذه الرسالة على طائفة غير قليلة من المخطوطات، فضلاً عن الكتب المطبوعة، وهي كثيرة، ولم أتمكّ
َن من وضع فهرس للمصادر والمراجع -على أهميّ
َته-، ولا من الإشارة للمخطوطات التي اعتمدتُ عليها.

لكن يُعرَف كون الكتاب مخطوطًا:

إما بالتصريح بكونه مخطوطًا -وهذا قليل-، حيث أقول: "في مخطوطة كذا"، أو: "في كتاب كذا المخطوط".

وإما بالإحالة إلى الموضع باللوحة:

فمثلاً: "المطالب العاليـة" (ل 202 - النسـخة المسندة): إشـارة إلى اللوحة، ومعناه أن نسخـة "المطـالب العاليـة" الـتي سـيقت فيهـا الأسـانيد مخطوطة.

ومثلـه: "السـنن الـواردة فـي الفتـن" لأبـي عمـرو الـداني (ل 24 / ب): معنـاه أن الحـديث في اللوحة الرابعة والعشرين، وفي الوجه الثاني منها، وهو يعني أن الكتاب مخطوط.

وهكذا في "سنن النسائي الكبرى"، أو "مسند البزار"، أو "رسالة التنبئـة فيمـن يبعثـه اللـه علـى رأس المئة" للسيوطي، أو "مرقاة الصعود" له، أو غيرها...

2- فيما يتعلق بتراجم الرجال - سـواء رجـال الإسـناد أو غيرهـم - قـد يجـد القـارئ فـي هـذه الرسالة أسماء اكتفيـتُ بـذكر مجمـل حالهـا؛ دون تفصيل، ودون إحالة، فهذا يعنـي أن الرجـل سـبق ذكر ترجمة له، وبيان حاله، مع ذكر المصادر.

فمثلاً: "عبـد اللـه بـن صـالح، كـاتب الليـث، صدوق، كثير الغلط"؛ فهذا يعنـي أنـه سـبق ذكـر تفصيل أكثر مشفوع بمصادر الترجمة.

وفي ختام هذه المقدمة أرجـو ألا يغيـب عـن ذهـن القـارئ الكريـم أن الحـديث عـن الطائفـة المنصورة -في هذه الرسـالة- مرتبـط بالحـديث عــن الجهـاد، والأمــر بــالمعروف، والنهــي عــن المنكــر، وإقامــة الحيــاة الإســلامية، وهــي مــن موضـوعات الرسـالة الثالثـة القادمـة بـإذن اللـه تعالى.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المؤلف
سلمان بن فهد العودة
القصيم - بريدة
ص ب (2782)
تاريخ
6/10/1410 هـ

التمهيد

إن هذه الأمة التي غادرها النبي صلى الله عليه وسلم قويةً، عزيزةً، موحَّدةً على كلمة الله، قائمةً بأمر الله، قد نفَذَت إليها عوامل الضعف والتردِّي كما نفذت إلى الأمم المؤمنة السابقة، وأثَّرت فيها أسباب التفرُّق، والاختلاف، والتنازع، حتى أصبحت أهواء شتَّى، وآراء متباينة، وفرقًا يكفِّر بعضها بعضًا، ويلعن بعضها بعضًا، ويقتل بعضها بعضًا -إلا مَن عَصَمَ الله، وقليلٌ ما هُم- كما حدث هذا كله للأمم السابقة.

وإزاء هذا الأمر الواقع -لا محالة- نجد النصوص -قرآنًا وسنَّةً- عُنيَتْ ببيان جانبين متقابلين:

الجانب الأوَّل:

أن هـــــــذا الأمــــــــر ســــــــيحدث -ولابـــد- حيــث ســتفترق الأمــة، وتختلــف، وتتقاتــل، والنصوص الحديثية -خاصة- لا تُحصـى كـثرة فـي هذا الباب، فمنهـا مـا يشـير إلـى عمـوم الاختلاف والتفرق الواقع فـي الأمـة، ومنهـا مـا يشـير إلـى أســـبابه، ومنهـــا مـــا يشـــير إلـــى تفاصـــيل محـــدَّدة فيه، ومنها ما يشير إلى نتائجه.

والنص -هنا- يتحدَّث عـن أمـر غيـبيٍّ قَـدَريٍّ، وعن قضاء سابق مقرَّر محتـوم، لا مـردَّ لـه مـن الله.

وهـــذا الإخبـــار عـــن الوقـــائع، والأحـــداث، والتحوُّلات، التي سَتُبْتَلى بها الأمة، يحقِّـق فوائـد وحكمًا عديدة:

أ- منها أنه دليلٌ واضحٌ على صدق نبوَّة محمد صلى الله عليه وسلم، وأنه يتلقَّى عن الله الـذي يَعْلَم الغيب، ولا يظهـر علـى غيبـه أحـدًا؛ إلا مَـن ارتضى من رسول.

فهو تقويةٌ ودعمٌ لإيمـان الـذين نُقِلَـت إليهـم هذه الأخبار، حيث يجدون الوقائع المطابقـة لهـا، فيقولـون: (**هَـذَا مَـا وَعَـدَنَا اللـهُ وَرَسـُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ**)[2]، وتقويةٌ ودعمٌ وتجديدٌ لإيمان ناقليها، الـذين سـمعوها مـن النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم، حيـث يتحـول يقينهم إلى (عين اليقين) حين يشاهدونَ عَياناً بعـض مـا أخـبرهم بـه الصـادق المصـدوق عليـه الصلاة والسلام.

ب- ومنها أنه أدقُّ في تحديد سبل النجاة من هذه الفتن والنوازل؛ فإن الإنسـان مهمـا بـالغتَ في تحذيره مـن خطـر يهـدِّده -دون أن تحـدِّد لـه هذا الخطر، أو تبيِّن له كيفية الوقوع فيـه-؛ قـد لا يتصوَّرُ الطريقة الـتي سـيحدث بهـا، ولا يسـتبين طبيعة المشكلة الـتي سـيواجهها، وقـد يقـع فـي المحذور وهو لا يحسبه ما كان يُحذَّر منه.

فتفصيل الوقائع والأحداث وتحديـدها يسـهل للكافـة -مـن العلمـاء، ومـن غيرهـم مـن سـائر النـاس- التعـرُّف عليهـا حيـن وقوعهـا، وتطـبيق النصوص عليها، وتجنبها.

وبيـــــــان الواقعـــــــة -تفصـــــــيلاً- يـــترتـ
ـَب عليه بيان العلاج تفصيلاً، مـع أن هـذا التفصـيل يؤكّ
ـِد في رَوْع المـواجه للفتنـة أو الواقعـة: أن الـذي وصف العلاج هـذا الوصـف هـو المحيـط بتفصـيل الواقعة هذه الإحاطة، فيزداد إيمانه بأنْ لا مخــرج منهـــــــــا إلا بمـــــــــا ذكرتْـــــــــهُ النّ
ـُصوص، ويندفع عنه إلقاءُ الشـيطان الـذي يـوهمُه بـــــأنّ فـــــي الواقعـــــة جـــــوانب خفيّ
ـَة، قد لا تكون هي المقصودة في تلك النصوص.

جـ- ومنها أن هذه الأخبار -مجملـةً ومفصَّـلةً- تحمل في مضمونها تحـذيرًا شـديدًا مـن الوقـوع في تلك الفتن المُهْلكة.

ذلك أن المؤمنين من هذه الأمة -من الصحابة وغيرهم- حين يسمعون خبر الرسول صلى الله عليه وسلم بأن منهم مَن سيحدث منه القتل، ومنهم من سيتعلَّق بالدُّنيا، ومنهم مَن سيترك الجهاد، ومنهم، ومنهم... تتحرَّك في نفوسهم مشاعر المواجهة لهذه الفتن، ويقول كل منهم: لعلَّني أنا أنجو، ويصبح الموفَّق منهم خائفًا على الدوام أن يقع في تلك المهالك على غفلة، والخوف -في هذا الباب- من أعظم سبل النجاة، فمن خاف سلم.

د- وهـــــــــي ســـــــــبب لتوبـــــــــة المتلبّ
ِسين بالفتنة حين يرون من الآيـات والعلامـات مـا يبيِّن لهـم فسـاد مـا هـم عليـه، وذمَّـه، وإنكـارَه، فيفيـــــــق الخـــــــائض فـــــــي الفتنـــــــة، وتتفتّ
َح عيناه على أنوار نص نبـوي، يحـدوه إلـى الإقلاع عما هو عليه، ومراجعة السَّمْت المستقيم.

هـ- والإخبـار عـن هـذه الأمـور هـو جـزءٌ مـن مهمّ
َـــــــــــــــــــــــة البلاغ الـــــــــــــــــــــــتي كُلّ
ِ ف بها النبي صلى الله عليه وسلم لعموم الأمـة، حيـث إن مـن هـذا العمـوم مَـن سـيكون معرّ
َضًا للفتنة، محتاجًا إلى بيان شافٍ بشأنها.

الجانب الثاني:

هـو التحـذير الصـريح المباشـر مـن الفتـن، وأسـبابها، ودواعيهـا، سـواء جـاء هـذا التحـذير مسـتقلاًّ، أو جـاء متّ
َصـلاً بأخبـار الفتـن ووقائعهـا، وإذا كـان التحـذير يُفهـم فهمًـا فـي النصـوص المتعلّ
ِقـة بالجـانب الأول، فهـو -هنـا- نـص
ٌ صريحٌ واضحٌ يحـذر ممـا أخـبر أنـه سـيقع، وهـذا مجالٌ للالتباس عند بعضهم؛ يعجبون من التحـذير مـن أمـر وقـوعه محتّ
َـم! ودفعـه -بالكلّ
ِية- محالٌ!

والفـرق بيـن هـذه النصـوص الناهيـة عـن الاختلاف، وتلك النصوص المخبرة بوقوعه _ هـو الفـرق بيـن الشـرع والقـدر؛ فالشـرع خطـاب للمكلَّفين بفعل ما أمر اللـه، وتـرك مـا نهـى، ولا يبطل الشرع أن يكون الله أخـبر عـن كفـر أكـثر الناس، وردِّهم للحق، وتكذيبهم بالرسل.

كمـا لا يسـوِّغ للكفـار كفرهـم أن يحتجُّـوا بالأخبار الـواردة فـي وقـوع الكفـر فـي الأرض -قدرًا-، مع أن النص لم يحـدِّد أشخاصًـا بأعيـانهم؛ بـل حـدَّد مواقـع ومواقـف، والنـاس هـم الـذين يختارون لأنفسهم ما شاؤوا.

فقد ذكـرت النصـوص سـبيل النجـاة وسـبل الهلاك، ووصـفت النـاجين والهـالكين، ومَيَّـزت هؤلاء عن أولئك؛ كمـا ذكـرت الإيمـان ووسـائله، والكفـر وذرائعـه، وأمـرت بالإيمـان، ونهـت عـن الكفر.

ومـن هـذه النصـوص الأحـاديث الـواردة فـي افـتراق الأمـة واختلافهـا -وهـي موضـوع الفصـل الأول-، والأحاديث الواردة في الطائفة المنصـورة -وهي موضوع الفصل الثاني-، والأحاديث الـواردة فـي الغربـاء وقلّ َتهم -وهي جزء من موضوع الفصل الثالث-.

وفى جميع هذه الأحـاديث نـصٌّ صـريح علـى تناقص الخيريـة فـي هـذه الأمـة، وتكـاثر الشـر، والفتـن، والأهـواء المضـلَّة، حـتى يغـدو الأخيـار، الملـتزمون بمنهـج النبـوة، الممسـكون بالكتـاب والسنة، المجانبون ما عليه العامَّة من الانحراف، وترك الأمر والنهي والجهـاد _ غربـاء بيـن أهلهـم وقومهم، وفي أوطانهم، لا غربـة الجسـد، ولكـن غربة الروح، وغربة المنهج، وغربة السلوك، وقـد تجتمع فيهم الغربتان، حـتى يصـدق عليهـم قـول القائل:

إِنِّي عَرِيبٌ عَرِيبُ الرُّوحِ مُنْفَرِدُ
إِنِّــي عَرِيــبٌ عَرِيــبُ الــدَّارِ والنَّسَبِ

كمْ ذَا أَحِنَّ إِلى أَهْلي إلى بَلَدي
إلــى صِـحَابي وعَهْــدِ الحِــد واللَّعِبِ

إلى المَنـازِل مِن دِينٍ ومِنْ خُلُقٍ
إلى المنـاهِل مِنْ عِلْمٍ ومِــنْ أَدَبِ

إلى المَسَاجِدِ قَدْ هَامَ الفُـؤَادُ بها

إلى الأذَانِ كلَحْنِ الخُلْـدِ فـي صَبَبِ

وبهذا تتضح علاقة الفرقة الناجيـة، والطائفـة المنصورة، بالغرباء.

فالفرقة الناجية غريبـةٌ بيـن سـائر فـرق الأمـة الثنتين والسبعين، وهي أشد غربة بيـن سـائر مـلـل الأرض الكـــافرة، فأفرادهـــا -إذًا- غربـــاء، وهـــي بمجموعها غريبة.

والطائفـة المنصـورة غريبـة بيـن سـائر أفـراد الأمـــة، ممّـَن لا يجتمعــون علــى الحــق، ولا ينصــرونه، ولا يجاهدون في سبيله، حـتى ولـو كـانوا مـن الفرقـة الناجيــة، فكيــف بغيرهــم؟ فكيــف بســائر الأمــم؟ فغربتها أشدٌّ وأقسى من غربة الفرقة الناجية.

ولكــن لفــظ الغربــة يشــملهم جميعًــا؛ كمــا يشمل غيرهم من المسلمين الغرباء بين الكفار.

وبهذا يتبين أن وصـف النجـاة ومـا يتبعـه هـو وصف لبعض الغرباء.

وكذلك وصـف النصـر ومـا يتبعـه هـو وصـف لبعضهم؛ إضافة إلـى الأوصـاف الأخـرى الـواردة في حديث الغربة ذاته.

الفصل الأول
الفــرقة الناجيـــة

الفصل الأول

الفرقة الناجية

وقد ورد الحديث الذي يبشر بها عن جمع من الصحابة، وهم: أبو هريرة، ومعاوية، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعوف بن مالك، وأنس بن مالك، وأبو أمامة، وابن مسعود، وجابر بن عبد الله، وسعد بن أبي وقّاص، وأبو الدرداء، وواثلة بن الأسقع، وعمرو بن عوف المزني، وعلي بن أبي طالب، وأبو موسى الأشعري رضي الله عنهم جميعًا.

وفي معظم الأحاديث ذُكرت الفرقة الناجية بعد ذكر الاختلاف، وفي بعضها ذُكر الاختلاف دون إشارة للفرقة الناجية.

وسأسوق هذه الأحاديث كلها مساقًا واحدًا؛ حتى يتبين بوضوح ثبوت الخبر في اختلاف الأمّة ثبوتًا لا شك فيه، إذ إن بعض هذه الأحاديث يشهد لبعضها الآخر.

ويكفي في ثبوت وجود الفرقة الناجية أن تكون معظم هذه الروايات ذَكَرَتْها.

ويؤكّده تأكيدًا لا يقبل الشك، ما سيأتي -بعد- من ذكر الطائفة المنصورة[3].

وهذه أحاديث الفرقة الناجية:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**افترقَت اليهودُ على إحدى -أو ثنْتَيْن- وسبعين فرقةً، وتفرّقَت النَّصارى على إحدى -أو ثنْتَيْن- وسبعين فرقةً، وتفتَرقُ أُمَّتي على ثلاث وسبعينَ فرقةً**"[4].

وعن أبي عامر عبد الله بن لُحَيّ قال: حَجَجْنا مع معاوية بن أبي سفيان، فلما قدمنا مكّ
َة؛ قام حين صل
َى صلاة الظهر، فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**إن أهل الكتابين افتَرقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملّ
َة، وإنّ هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملّ
َة -**يعني: الأهواء- **كلّ
ُها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة، وإنه سيخرج في أمتي أقوام تَجَارى بهم تلك الأهواءُ كما يَتَجارى الكلَب[5] بصاحبه؛ لا يبقى منهُ عرقٌ ولا مِفْصَلٌ إلا دخله**". والله - يا معشر العرب - لئن لم تقوموا بما جاء به نبي

ُكم صلى الله عليه وسلم؛ لَغَيْرُكم من الناس أحرى أن لا يقومَ به[6].

وعن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"افترقتُ اليهود على إحدى وسبعينَ فرقةً، فواحدةٌ في الجنَّة وسبعون في النار، وافترقت النَّصارى على ثنتين وسبعين فرقةً، فإحدى وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، والذي نفس محمد بيده؛ لتفترقنَّ أمَّتي على ثلاث وسبعين فرقةً، واحدةٌ في الجنة، وثنتان وسبعون في النار".** قيل: يا رسول الله! مَن هُم؟ قال: **"الجماعة"**[7].

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"ستفترقُ أمَّتي على بضع وسبعين فرقةً: أعظمُها فتنةً على أمَّتي قومٌ يقيسون الأمورَ برأيهم؛ يُحرِّمون الحلال، ويُحُّلون الحرام"**[8].

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: "**كيف أنت -يا عوف- إذا افترقت هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة: واحدة في الجنة، وسائرهن في النار؟**". قلت: ومتى ذلك يا رسول الله؟ قال: "**إذا كثُرَت الشرط، وَمَلكت الإماءُ، وَقَعَدَت الحملانُ على المنابر، واتّ
ُخِذَ القرآن مزامير، وزُخْرفَتِ المساجد، ورُفِعَتِ المنابر...** "الحديث[9].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**ليأتيَنَّ على أُمَّتي ما أتى على بني إسرائيلَ حَذْوَ النعل بالنعل، حتى إن كان منهُم مَن أتى أُمَّه علانية؛ لكان في أُمَّتي مَن يصنع ذلك، وإنَّ بني إسرائيل تفرَّقت على ثنتين وسبعين ملَّة، وتفترق أُمَّتي على ثلاث وسبعين ملة؛ كلهم في النار؛ إلا ملة واحدة**". قالوا: ومَن هي يا رسول الله؟ قال: "**ما أنا عليه وأصحابي**"[10].

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**إن بني إسرائيل افتَرَقَتْ على إحدى وسبعين فرقةً، وإن أمّتي ستفترق على ثنتين وسبعينَ فرقةً؛ كلّها في النار؛ إلا واحدة، وهي الجماعة**"[11].

وعن أبي أُمامة رضي الله عنه قال: "افترقت بنو إسرائيلَ على إحدى وسبعين فرقـةً - أو قـالَ: اثنـــتين وســـبعينَ فرقـــةً -، وتزيـــدُ هـــذه الأمّ
ـَــةُ فرقــةً واحــدةً؛ كلهــا فــي النــار؛ إلا الســواد الأعظم"، فقال له رجلٌ: يا أبا أُمامة! مِن رأيك أو سمعتَه من رسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم؟
قـــال: إنّ
ـِي إذًا لجريءٌ؛ بل سمعتُه من رسـول اللـه صـلى الله عليه وسلم غير مرة، ولا مرتين، ولا ثلاث[12].

وعن سعد بـن أبـي وقَّـاص رضـي اللـه عنـه قال: قال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: **"افـــترقتْ بنـــو إســـرائيلَ علـــى إحـــدى وسبعين ملَّةً، ولن تذهبَ الليالي والأيـــام حتى تفتَرقَ أُمَّتي على مِثلها"**[13].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قـال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**... يـا ابـــــن مســـــعود! هـــــل علمـــــتَ أنّ**
َ بنـــي إســـرائيل افـــترقوا علـــى اثنـــتين وسبعين فرقةً لم ينجُ منهـا إلا ثلاثُ فـرق: فرقـــةٌ أقـــامت فـــي الملـــوك والجبـــابرة، فدعت إلى دين عيسـ ى، فأخـ ذَتْ، فقُتلـ ت بالمناشـــــــــــــــــــــــــــــــــير، وحُرّ
ِقت بالنيران، فصبرت حـتى لحقـت بـالله، ثم قامت طائفةٌ أخرى لم تكـ ن لهـ م قـ وة، ولـــم تطـــق القيـــام بالقســـط، فلحقـــت بالجبـــــــــــــــــــــــــــــــــال، فتعبّ
َـــ

فاسِقونَ)[14]، وفرقةٌ منهم آمنت، فهُم الذين آمنوا وصدَقوني، وهم الذين رعَوْها حق رعايتِها، وكثيرٌ منهم فاسقون، وهم الذين لم يؤمنوا بي، ولم يصدِقونى، ولم يرعَوْها حق رعايتها، وهم الذين فسَقُهم الله"[15].

وعـن أبـي الـدرداء وأبـي أُمامـة وواثلـة بـن الأسقع وأنس بن مالك رضي الله عنهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "... **ذروا المِراء؛ فإن بنـي إسـرائيل افتَرقـوا علـى إحـدى وسـبعين فرقـةً، والنّ**
َصـارى علـى ثنـتين وسـبعين فرقـةً؛ كلّ
ُهـم فـي الضـ
َلالة إلا السـواد الأعظـم"، قـالوا: يـا رسـول الله! ومَـن السـواد الأعظـم؟ قـال: "**مَن كـان على ما أنا عليه وأصـحابي، مَـن لـم يمـار فـي ديـن اللـه، ومَـن لـم يكفّ**
ِر أحدًا من أهل التوحيد بذنب غفر له"[16].

وعن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف بـن زيد عـن أبيـه عـن جـده؛ قـال: كنـا قعـودًا حـول رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجده، فقـــــــــــــــــــــــــــــــــال: **"لَتَسَـــــــــــــــــــــــــــــــــلُكُن سَـــــــَنَن مَـــــــن قبلكـــــــم حَـــــــذْوَ النّ َعـــــــــــــــــــــــــــــــــــل بالنّ َعـــــــــــــــــــــــــــــــــــل، ولَتَأْخُـــــــــــــــــــــــــــــــــــذُن َ مثل أخذهم، إن شبرًا فشـبر، وإن ذراعًـا فذراع، وإن باعًا فباع، حتى لو دخلوا جُحر ضـــــــــــــــــــــــــــــــــــــَب ٍ دَخَلْتُم فيه، ألا إن بني إسرائيل افـترقت على موسى على إحدى وسـبعين فرقـةً؛ كلهـا ضـالةٌ؛ إلا فرقـةً واحـدةً: الإسـلام وجماعتُهم، وإنها افـترقتْ علـى عيسـى بن مريمَ على إحدى وسبعينَ فرقةً؛ كلها ضـــالة؛ إلا فرقـــةً واحـــدةً: الإســـلام وجمـــــــــــاعتُهم، ثـــــــــم إنّ**

َهــم يكونــون[17] علــى اثنــتين وســبعين فرقــة؛ كلهــا ضــالة؛ إلا فرقــة واحــدة: الإسلام وجماعتهم"[18].

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه دعا رأس الجالوت[19] وأسقُف النّ
َصارى[20]، فقال: إنّ
ِي سائِلُكم عن أمر -وأنا أعلم به منكم ا-؛ فلا تكتماني، يا رأس الجالوت! أنشدتُك الله الذي أنزل التوراةَ على موسى، وأطعمكم المن
َ والسلوى، وضرب لكم في البحر طريقًا، وأخرج لكم من الحجر اثنتي عشرة عينًا، لكل سِبْط من بني إسرائيل عينٌ؛ إلا ما أخبرتَني: على كم افترقت بنو إسرائيل بعد موسى؟ فقال له: ولا فرقة واحدة! فقال له علي
ٌ -ثلاث مرار-: كذبتَ، والله الذي لا إله إلا هو؛ لقد افترقت على إحدى وسبعين فرقةً؛ كلها في النار إلا فرقة.

ثم دعـا الأسـقف، فقـال: أنشـدك اللـه الـذي أنـزل الإنجيـل علـى عيسـى، وجَعَـل علـى رَحْلِـه البركــة، وأراكــم العِــبرة، فــأبرأ الأكمــه، وأحيــى الموتى، وصنع لكم من الطين طيورًا، وأنبأكم بمــا تـــــــــــــــــأكلون ومـــــــــــــــــا تـــد
َخرون في بيوتكُم، فقال: دون هذا أصدقك يا أمير المـــؤمنين. فقـــال: علـــى كـــم افـــترقت النّ
َصارى بعد عيسى م ن فرق ة؟ فق ال: لا والل ه ولا فرقة. فقال -ثلاث مرار-: كذبتَ، والله الذي لا إله إلا هو؛ لقد افترقت على ثنتين وسبعين فرقةً؛ كلها فـــــــــــــــــي النـــــــــــــــــار إلاّ
َ فرقةً.

فأما أنت -يا يهوديُّ-؛ فإن الله يقول: (**وَمـن قَــوْم مُوســى أُمَّــةٌ يَهْــدُونَ بــالحَقِّ وَبــه يَعْدلُونَ**)[21]، فهي التي تنجو.

وأما أنت -يا نصراني$^{\text{ُّ}}$-؛ فإن الله يقول: (**مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ**)[22]، فهي التي تنجو.

وأما نحن؛ فيقول: (**وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ**)[23]، وهي التى تنجو من هذه الأمة[24].

وعن عبد الله بن قيس رضي الله عنه قال: اجتمعَ عند عليٍّ رضي الله عنه جاثليتو[25] النصارى ورأس الجالوت.

فقال الرأس: تُجادلون على كم افترقت اليهود؟ قال: على إحدى وسبعين فرقة.

فقال علي رضي الله عنه: لتفترقَنَّ هذه الأمة على مثل ذلك، وأضلُّها فرقةً وشَرُّها: الدَّاعية إلينا -أهل البيت-، آية ذلك أنهم يشتمون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما[26].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**تفرّقت اليهود على واحدة وسبعين فرقةً؛ كلها في النار، وتفرّقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقةً؛ كلها في النار، وإن أمّتي ستفترق على ثلاث وسبعين فرقةً؛ كلها في النار؛ إلا واحدة**"، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله! أخبرْنا مَن هُم؟ قال: "**السواد الأعظم**"[27].

هذه هي الأحاديث التي أمكن الوقوف عليها في خبر الاختلاف والفرقة الناجية، وهي خمسة عشر حديثًا.

وهذه الأحاديث عن هذا الجمع من الصحابة تَجْعَل من المُتَيَقَّن -عند مَن اطَّلع عليها وعلى طرقها- صدورَ هذا الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وفيه بيانُ حتميَّة افتراق الأمَّة، واختلافها هـذا الاختلاف الواسع العريض؛ كما افترقت واختلفت الأمم الكتابيـة قبلهـا؛ بـل أشـدُّ مـن ذلـك. وهـذا تخويفٌ وتحذيرٌ لها من ذلك.

وأن هذه الفرق كلها مذمومة متوعَّدة بالنار؛ إلا فرقة واحدة، وهي الفرقة الناجية الغريبة بين هذه الأهواء المختلفة. وهذا تبشيرٌ وتبصيرٌ.

وفيه بيان أن الحق لا يزال الله يقيِّض له مَن يحمله، ويصبر عليه.

وفيه حثٌّ للمسلم على معرفة سبيل الناجين، وسلوكها.

كم عدد الفِرَق في هذه الأمة؟

وحول عدد هذه الفرق يلحظ المتأمل للأحاديث السابقة ما يلي:

1- بعضها أطلقت (البضع) دون تحديد عدد، وذلك في حديث عوف بن مالك من طريق نُعيم بن حمَّاد، وهو حديث منكر، ولو صح لفظ (البضع)؛ لأمكن حمله على العدد المحدَّد في الأحاديث الأخرى، ومثله لفظ (نَيِّف) في رواية ابن بطة في "الشرح والإبانة".

2- وبعضها حدَّدت العدد بـ(إحدى وسبعين)؛ كما في حديث سعد، وهو ضعيف، وحديث أبي موسى، وهو كذلك.

3- وبعضها حدَّدت العدد بـ(ثنتين وسـبعين)؛ كمـا فـي بعـض طـرق الحـديث عـن أنـس[28]، وحديث عمرو بن عوف، وهو ضعيف جدًّا.

4- ومعظمها حدَّدت العدد بـ(ثلاث وسبعين)؛ كما في حديث أبي هريرة، ومعاويـة، وعـوف بـن مالك، وعبـد اللـه بـن عمـرو بـن العـاص، وبعـض الطـرق عـن أنـس[29]، وعلـي بـن أبـي طـالب، وجابر.

وهــذه الروايــات المحــدَّدة بثلاث وســبعين أرجح: من حيث الصحة، ومن حيث الكثرة.

أمـا روايـة (إحـدى وسـبعين)؛ فـتردُّ بضـعف الحديث، مـع مخالفـة روايـات أخـرى أصـح منهـا وأكثر، فهـي مـردودة حـتى لـو فُرضـت صـحَّتُها، فكيف وهي ضعيفة؟!

وأما روايـة (الثنـتين والسـبعين)؛ فهـي -وإن كانت أمثل من سابقتها- إلا أنهُ يُقال فيها ما يقال فيها، وعلى التسليم بصحَّتها أو حسنها يمكــن أن يُقـال: إنـه اقتصـر فـي هـذا العـدد علـى الفـرق الهالكة، والناجية هي مكملة الثلاث والسبعين.

وإن أشكل على هذا بعض الروايات التي فصلت، فذَكَرَتْ هلاك إحدى وسبعين فرقة، ونجاة فرقة واحدة[30]، وهي روايات ضعيفة لا تقاوم تلك.

والخلاصة: أن ترجيح رواية (ثلاث وسبعين فرقة) أمر ظاهرٌ غيرُ مُشْكل.

ما هي الفرق الهالكة؟

أما تحديد هذه الفرق؛ فقد اشتغل العلماء بذلك منذ القديم، ومن أقدم مَن تكلَّم في ذلك يوسُف بن أسباط[31]، وعبد الله بن المبارك[32]، حيث قالا: "أصول البدع أربعة: الروافض، والخوارج، والقدريَّة، والمرجئة"[33].

فقيل لابن المبارك: والجهمية؟

فأجاب بأن أولئك ليسوا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم[34].

وعد بعضهم أصولَهم ستَّةً، فأضاف إليها الجهميَّة والجبريَّة[35].

وأضاف إليها آخرون: المعتزلـة، والمشـبِّهة، والنَّجارية[36].

وبنـــاء علـــى هـــذه الأصـــول اشـــتغل عامّـــة المصـــنِّفين في الفرق بتعداد الثلاث والسبعين، وتفريعها على الأصول التي يراها؛ كما فعل الإمام المَلْطي فـي كتـاب "التنـبيه والـرد علـى أهـل الأهـواء والبـــدع"[37]، والشهرســـتاني فـــي "الملـــل والنحـــل"[38]، والبغـــدادي فـــي "الفـــرق بيـــن الفِرَق"[39]، وابن الجوزي في "تلبيس إبليس"[40]، والسكسـكي الحنبلـي فـي كتـاب "البرهـان"[41]، وغيرهم.

ويُتَّجَـــه علـــى هـــذه الطريقـــة عـــدة اعتراضات:

الأول: أن أصحابها لا ينفكّون عن التكلّ
ُف في عد الفرق من أجل موافقة العدد الوارد، وقد يجعلون من الفرقة الواحدة فرقًا عديدة، بحسب اختلافها في بعض الجزئيات، مع أن الأصول العامّ
َة لهذه الفرق واحدة وإن اختلفت فيما بينها في بعض التفصيلات، وقد يقتصرون في تعداد بعض الفرق على بعض فئاتها ولا يطردون منهجهم فيها، ولو توسع بعضهم في عد
ِ فئات فرقة واحدة -كالصوفية، أو الإسماعيلية-؛ لأربت على السبعين[42].

وإنَّ ممَّا تستبعده العقول، وتخالفه السنن الجارية: أن تكون الأمة ست فرق، وكل فرقة اثنتا عشرة طائفة، كما تستبعد أن تكون الأمة أربع فرق، وكل فرقة ثمان عشرة طائفة ... وهلم جرّا.

ولم يكلّفنا الله سبحانه أن نبحث فـي تحديـد هذه الفرق الضالَّة بأعدادها وأعيانها، اللهم إلا أن يكـون ذلـك ميسـورًا واضـحًا، لا تكلـف فيـه، ولا اضطراب، فيكون تعـدادها -حينئـذ- إظهـارًا لآيـة بيِّنة لا لبس فيها، ودليلاً على صدق ما أخبر صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث دلالة تدفع شـك المتشكّكين في نبوَّته.

الثاني: أن الرسول صلى الله عليـه وسلم لم يحدِّد فترة زمنيّة لظهور هذه الفرق، وقـد يكـون مـن الجـائز أن تظل الفرق تظهر في تاريخ المسـلمين إلـى أن يـرث الله الأرض ومن عليها، ولا يعلم ما في غيـب اللـه إلا هو سبحانه.

وها نحن نجد عـددًا كـبيرًا مـن الفـرق يظهـر بين المسـلمين بعـدما انتهـى بعـض العلمـاء مـن تعداد الفرق، وأوصلها إلـى ثنـتين وسـبعين، ومـن تلــك الفــرق: القاديانيــة، والبهائيــة، والقوميــة، وغيرها[43].

ولا يُعارض ذلك أن تكون هذه الملل الحادثــة مللاً كافرة؛ لأن كثيرًا ممَّن عدُّوا الفرق القديمــة وأوصلوها إلى ثلاث وسبعين عــدُّوا فرقًــا يصــدق عليها ما يصدُقُ على هذه الفرق الجديدة؛ كسائر الطوائـف الباطنيـة: مـن السـبئيَّة، والقرامطـة، والتناسخية[44]، وغيرها.

وسيأتي مزيد بسط لهذه المسألة بعد قليل.

الثالث: أن المتأمِّــل فــي حــديث الافــتراق يلحظ الفارق العظيم بيــن فقــه الصــحابة رضــي الله عنهم وبين فقه مَن بعدهم.

فالصحابة حين سمعوا هذا الخبر المؤلم عن تفرُّق الأمة واختلافها؛ بادروا بالسؤال عن الفرقة الناجية وخصائصها، وكان السائل عن ذلك عمر بن الخطاب؛ كما في حديث جابر أو غيره، فكانت عنايتهم بمعرفة الفرقة الناجية، وصفاتها؛ للتشبُّث بها، ومُباعَدة ما عداها؛ لأن معرفة الناجية تعني أن ما سواها هالكة.

أما مَن بعدهم -وخاصة ممَّن صنَّف في الفرق من المتأخرين-؛ فكثيرٌ منهم شُغِلُوا بالفرق الهالكة الضالَّة؛ يُعَدِّدونها، ويدوِّنون مقالاتها، أكثر مما شُغِلوا بتعيين الفرقة الناجية، وبيان خصائصها، والتمسُّك بها.

وليـس يجـوز للمسـلمين أن يجهلـوا سـُبل المجرميـن، وقـد أمرهـم اللـه باسـتبانتها، وكـان حُذيفة يسأل النبي صـلى اللـه عليـه وسـلم عـن الشر؛ مخافة أن يدركه[45]، لكن هـذا إنمـا شـُرع لأنه وسيلة للحذر من تلك المسالك، والرد علـى أصحابها، وسبب للـزوم الجـادَّة المسـتقيمة، فلا يصلح أن يطغـى علـى الأصـل الـذي هـو معرفـة الكتـاب، والسـنة، ومنهـج الأنبيـاء والمرسـلين والتابعين لهم بإحسان، وليـس مـن المقبـول أن نشتغل بالوسيلة عن الغاية.

وأهـم مـا ينبغـي معرفتـه عـن طرائـق أهـل الضـلالة: العلـم بالأصـول الـتي ينطلقـون منهـا، والمناهج التي يسلكونها، ومعرفة أسـباب زيغهـا وانحرافهـا، والـرد عليهـا، وبيـان فسـادها، أمـا التعمُّـق فـي أقاويلهـا، وتفصـيلاتها، والفـروق الدقيقة بينها؛ فلم يكلِّفْنا الله به، ولقـد جـرَّ علـى المسلمين أضرارًا عديـدة؛ منهـا: أنـه اضـطرَّهم إلى القول في فرعيات مسائل، وفي جزئيات لم يأت بها نصٌّ، ولم يتكلَّم فيها الرسول صـلى اللـه عليه وسلم ولا أصحابُه، ولو أنهم أتَوْا على أصول تلك المذاهب والفرق، وردُّوها، وأبطلوهـا؛ لكـان ذلك إبطالاً لسائر أقاويلهم، إذ إن سقوط الأصل يستلزم سقوط الفرع.

وهـذا هـو المنهـج الـذي عليـه كـثير مـن المتقـد مين ممَّن عاصروا البدع وعاشوا زمـن قوَّتهـا ونشـاطها؛ كالإمـام أحمـد[46]، والآجُـرِّي[47]، واللالكـائي[48]، وابن بطة[49]، وغيرهم.

هل هذه الفرق كافرة:

وهذا سؤال يطول حوله الجدل ما بين مكفِّر يرى أن حكم الرسول صلى الله عليه وسلم عليهم بالهلاك يعني أنها كافرة مخلَّدة في النار، وقد يحتجُّ بما ورد في شأن الخوارج؛ مما يدلُّ بظاهره على عموم تكفيرهم وخروجهم من الدين. وما بين مضلِّل لهم ومفسِّق دون أن يصل به الأمر إلى تكفيرهم وإخراجهم من الملة والحكم بخلودهم في النار[50].

والحق أن الحديث لا دلالة فيه على التكفير؛ لأن الوعيد بالنار لا يقتضي الخلود فيها، وقد توعَّد النبي صلى الله عليه وسلم بالنار على كثير من الذنوب والمعاصي التي لا يختلف أهل الحقِّ على عدم التكفير بمجردها؛ كإباق العبد من مواليه، وإتيان المرأة في دُبُرها، وقتال المسلم، والرغبة عن الآباء وترك الانتساب إليهم... وغيرها كثير.

كما أن عدَه لهم من الأمة يعني أنهم مسلمون -في الجملة- حيث سماهم من هذه الأمة، والأصل أن المسلم باق على إسلامه، لا يخرج منه إلا بيقين.

ولهذا كان القول الصحيح أن جملة أهل الفرق من المسلمين؛ كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية[51] رحمه الله: "... وكذلك سائر الثنتين وسبعين فرقة، مَن كان منهم منافقًا؛ فهو كافرٌ في الباطن، ومن لم يكن منافقًا؛ بل كان مؤمنًا بالله ورسوله في الباطن؛ لم يكن كافرًا في الباطن، وإن أخطأ في التأويل؛ كائنًا ما كان خطؤه، وقد يكون في بعضهم شعبة من شعب النِّفاق، ولا يكون فيه النِّفاق الذي يكون صاحبه في الدَّرك الأسفل من النار.

ومَن قال: إن الثنتين وسبعين فرقة كل واحـد منهـم يكفـر كفـرًا ينقـل عـن الملـة؛ فقـد خـالف الكتـاب والسـنة وإجمـاع الصـحابة رضـوان اللـه عليهم أجمعين؛ بـل وإجمـاع الأئمـة الأربعة وغيـر الأربعـــــــة، فليـــــــس فيهـــــــم مـــــــن كفّ
َـر كـل واحـد مـن الثنـتين وسـبعين فرقـة، وإنمـا يكفّ
ِرُ بعضهم بعضًا ببعض المقالات"[52] ا.هـ.

والقول بأن جملة أهل الفرق من المسـلمين هـو الـذي تؤيـده النصـوص؛ كمـا أنـه هـو الـذي يطمئـنُّ إليـه عقـل المـؤمن وقلبُـه، فالمسـلم مجبولٌ على حبِّ الخيـر للنـاس، والحـرص علـى نجاتهم، وليس من اليسـير عليـه أن يسـارع فـي نبزهم بالكفر، والحكم عليهم بالخلود المؤبَّد في نار السعير؛ إلا حين يكـون الأمـر واضـحًا لا شـك فيه.

أما ما يقع فيه بعض الغلاة والمتشـدِّدين مـن تكفير الناس بـأدنى سـبب، مـع زعمهـم بـأنهم لا يكفِّرون أحدًا، ولكـن الشـرع هـو الـذي كفَّرهـم؛ فهو انحـراف خطيـر سـبَّبته الظـروف النفسـية، والعوامــل الاجتماعيــة لطائفــة مــن أصــحاب الشخصيات الحادَّة المتعنِّتة.

ومع عدم القول بتكفير جملة أصحاب الفرق؛ فإن من أقوالهم ما يكـون كفـرًا؛ كإلحـادهم فـي أسماء الله وصفاته، وإنكـارهم لبعـض مـا يقطـع أهل العلم بثبوته وتـواتره، ووقـوعهم فـي ألـوان من الشرك، وليس يلزم من كون الفعل كفرًا أن يكـون فـاعله كـافرًا؛ بـل كـثيرًا مـا يمتنـع إطلاق الكفر على مـن فعلـه؛ لعـدم تحقـق الشـرط، أو عدم انتفاء الموانع.

وقد تجتمع بعض الفرق على الكفـر الصـريح الواضـح الـذي لا شـك فيـه؛ كاجتمـاع الأحـزاب القوميَّة والوطنية على أساس الرابط ة القوميَّ ة، وإنكارها للأخوة الإيمانيـة، ومنحهـا حـق التشـريع والسلطة للبشر من دون الل ه، وإهانتهـا للإسـلام وأهله، وكاجتماع بعض أصحاب الطـرق الصـوفية علـــــــــــــــى زعمـــــــــــــــائهم المـــد َعين لأنفسـهم رتبـة أعلـى مـن رتبـة النبـوة؛ بـل والمـــد َعين حلول الإلهية فيهم، والناسخين للتكاليف عن أتباعهم ومريديهم، والزاعمين الأخذ عـن اللـه بلا واسطة.

وهـذه الرايــة وتلــك تجمـع المنـافقين نفاقًـا اعتقاديًـــا، ممّـــن يحـــاد ُون الله ورسوله، وممن لا يستحي مــن التصــريح بــالردة والخــروج عــن الــدين -وعامَّــة القــادة المتبــوعين منهــم كــذلك-؛ كمــا تجمــع الرعــاع والدهماء ممن يلتفون حولها رغبة أو رهبة -خاصةً حين تملك القوة والسلطان، أو تكون على علاقـة بمن يملك القوة والسـلطان- ممـن لا َيعُـون مـن الأمر شيئًا، ولا يفهمون من أصول الفرق التي ينتسبون إليها شيئًا، وليس لديهم استعداد -أصــلاً- لسماع شيء من تلــك الأصــول، أو مناقشــتها، أو قبولهـا، فهـم مشـغولون بهمـومهم اليوميـة عـن ذلـــــك، ولكنهـــــم -فـــــي الجملـــــة- مصـــل ُون، مقيمون للشعائر الظاهرة.

ومثل هذه التجمّ
ُعات هي تجمعات كفرية من حيث المبدأ الذي تقوم عليه، والراية التي تقف تحتَها، والقيادات الواعية التي تسيِ
رها، لكن لا يلزم من ذلك كفر كاوّ
َة أفرادها؛ بل ربما وُجدت أغلبية مسلمة مغفَّلة تحت زعامَّة أقليّ
َة علمانية كافرة داخل حزب أو حركة أو طائفة أو نحلة أو بلد، ولو سَبَرْتَ أحوال كثير من هؤلاء الأتباع المغفّ
َلين؛ لوجدت حرجًا عظيمًا في وصفهم جميعًا بالكفر، ولوجدت لهم تأويلات -إن كان لا يمكن أن تنطلي على العالم أو طالب العلم أو العاقل الحصيف، فمن الممكن أن يغتر بها أمثالُهم من غوغاء الناس الذين لا يتبص

َرون في أمورهم، إضافة إلى رقَّة دينهم، وضعف يقينهم، وإيثارهم العاجل على الآجل-، والتكفير لابد أن يكون بأمر واضح غير ملتبس.

ومن الأمثلة على ذلك: الاتجاهات القوميَّة في العالم الإسلامي؛ فإنك إذا استبعدتَ غير المسلمين أصلاً من دعاة القوميَّة، واستبعدتَ مَن علم نفاقهم الاعتقادي علمًا أكيدًا من أفكار ومبادئ أعلنوها وصرحوا بها؛ وجدتَ بعض مَن يحملون أفكارًا قوميَّة، ويرددون بعض المصطلحات الشائعة في تلك الأوساط، ويُحْسَبون -عند عامَّة الناس- من أصحاب الاتجاهات القوميَّة؛ وجدتهم ملتزمين بالشعائر، غير قائلين بقول لا يحتمل تأويلاً غير الكفر.

ومن العدل الذي أمرنا الله به العدل حتى مع الأعداء، ومع الفاسقين، والظالمين، فلا يمنع وقوع هؤلاء في الفسق والظلم والهوى أن يحسبوا ضمن الثنتين والسبعين فرقةً، وألا يُخْرَجوا من الإسلام إلا بيقين.

قال ابـن بطَّـال[53] -فيمـا نقلـه الحـافظ ابـن حجر-: "... وإذا وقع الشكُّ فـي ذلـك؛ لـم يُقطـع عليهم بالخروج من الإسلام؛ لأن من ثَبَت له عقد الإسلام بيقين؛ لم يخرج منه إلا بيقين"[54].

فالخلاصة أن الكلام في إسلام هذه الفــرق أو كفرها يتحدد في جانبين.

الجـــانب الأول: علـــى المســـتوى الفردي:

ففي الفرق كلها منافقون نفاقًا اعتقاديًّا؛ بــل وحتى ضمن الفرقة الناجية يوجد مثل هؤلاء؛ بــل كان المنافقون موجودين ضــمن المجتمــع الــذي بناه محمد صلى اللــه عليــه وسـلم، ولكنهـم فـي الفرق الهالكة أكثر، وهم فيها أمكن، وقد يكونون رؤوسًا ومدبرين؛ بل لعل كثيرًا منهم من منشئي هذه الفرق ومؤسِّسيها.

أما جمهور أفراد تلك الفرق؛ فالأصل أنهم مسلمون ما داموا ينطقون الشهادتين، ويقيمون الشعائر، حتى وإن قالوا ببعض الآراء والأقوال التي تستلزم الكفر، أو تتضمنه، ما دام أن لهم تأويلاً في ذلك، ولو كان هذا التأويل ضعيفًا متهالكًا.

الجانب الثاني: على المستوى الاجتماعي:

وهو النظر إليهم باعتبارهم فرقةً من الفرق، أو طائفة من الطوائف.

فهذه الفرق الثنتان والسبعون هي -على العموم- فرق أهل القبلة، ولكن هذا لا يمنع من وجود فرقة أو أكثر تشتطُّ في الانحراف، حتى تخرج بهيئتها الاجتماعية إلى الكفر، وتبقى داخلة في الثنتين والسبعين؛ مدَّعية أنها من ضمن المسلمين؛ بل ربما ادَّعت أنها -وحدها- أمة المسلمين.

وبناء عليه؛ فإنه يمكن أن يقال: إن التِّجَانيَّة[55] -مثلاً-، أو مَن يسمُّون أنفسهم بـ(الخرافيين)[56]، أو غيرهم من الطوائف الغالية في البدعة: هم من ضمن الطوائف الثنتين والسبعين.

ويزيد الأمر وضوحًا أن نقوم بتفكيك هذه الهيئة الاجتماعية، وتحليلها إلى عناصرها المكوِّنة لها.

فهي تتكون من:

أ- عقائد ومناهج وأصول تلتزم بها.

ب- ومن زعامات وقيادات تتمثل في الشيوخ والزعماء والسادة.

جـ- ومن أتباع ومريدين.

أ- فالحكم على العقائد والمناهج بذاتها بما تستحقه أمر لا إشكال فيه؛ ضلالاً كانت أو كفرًا أو بدعة، فيقال: هذا العمل كفر... وهذه العقيدة ضلال... وهذا القول قول محدَث مختَرَع، لا أصل له من الشريعة... أو يحكم عليه بأي حكم آخر مبني على المعرفة بحقيقة المذهب، والدراية بحكم الله ورسوله فيه.

ومثل ذلك أن يقال: إن مَن عمل هذا أو اعتقده أو قاله؛ فهو كافر، أو ضال، أو فاسق.

ب- أما الزّعامات والرؤوس؛ فالغالب أنها على بصر ودراية كبيرة بمذهبها ومقالتها، وقد تكون متسترة وراءها، وإلا فهي تخفي ما هو أعظم وأخطر؛ فإننا نعلم أن اليهود والمجوس وسائر أعداء الإسلام لما فشلوا في الحرب المعلنة؛ بدؤوا الحرب على الإسلام بالتقيّة والحيلة، وتترّسوا ببعض الطوائف التي افتعلوها في جسم الأمة الإسلامية؛ لتخدم أغراضهم وتحقّق مآربهم.

ولذلك تجد لكثير من زعماء المذاهب الضالة تأصيلاً لمذهبهم، وكتابةً ودراسةً وتنظيرًا يتلقّاه الأتباع بالقبول والتسليم.

وإذا تمكن بعضهم؛ وجـدت لـه مـن الجـراءة والتصريح ما ينبئ عما وراء الأكمة، ويكشف عـن نوع نفـاق اعتقـادي فـي قلـب صـاحبه، والأمثلـة المعاصرة من زعماء القوميَّة والرافضـة وغيرهـا معروفة.

جـ- أما الأتباع؛ فغالبهم من الـدهماء والرعـاع غيــر المستبصــرين، أو مــن أصــحاب المنــافع والمطامع، وهـم لا يملكـون فهمًـا ثاقبًـا ولا بصـرًا نافــذًا، ولــذلك رضــوا لأنفســهم أن يكونــوا تبعًــا لغيرهــم، وهــم -ولا شــك- محاســبون مكلفــون مؤاخذون بتبعات أعمالهم، معدودون فـي زمـرة أهل الزيغ والضلال:

(وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا ▪ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَين مِنَ العَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كبيرًا)[57].

(وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ▪ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ العِبَادِ)[58].

(إِذْ
تَبَـــر
أَ
الّ
ـــذِينَ
اتّ
بِعُـــوا مِـــنَ
الّ
ـــذِينَ
اتّ
بَعُـــوا وَرَأَوُا الْعَـــذَابَ
وَتَقَطّ
عَـــتْ بِهِـــمُ الأَســـبَاب ▪ وَقَـــالَ
الّ
ـــذِينَ
اتّ
بَعُـــوا لَـــوْ
أَنّ
لَنَـــا
كَـــر
ةً

فَنَتَبَـــر
َأ مِنْهُـــمْ كَمَـــا
تَبَـــر
َؤُوا
مِنّ
َـا كَـذَلِكَ يُرِيهِـمُ اللـهُ أَعْمَـالَهُمْ حَسَـرَاتٍ
عَلَيْهِـــمْ وَمَـــا هُـــم بِخَـــارِجِينَ مِـــنَ
النّ
َار)[59].

فهذه حالُهم -إجمالاً- في الدنيا وفي الآخـرة، لكن الحكم على أعيانهم بأشخاصـهم وأسـمائهم بالكفرِ -خاصة- أمر عسير، يتطلب قـدرًا عظيمًـا من الرَّويَّة والأناة والتثبُّت؛ لما يـترتب عليـه مـن الآثار العظيمة في الدارين؛ من حِـلِّ دم الكـافر، ومـاله، ونـزع ولايتـه الخاصـة والعامـة، وبطلان عقـوده، وفـي الآخـرة مـن خلـوده فـي النـار، وتحريـم الجنـة عليـه، وتحريـم الـدعاء لـه بالرحمـة... إلـى غيـر ذلـك مـن الآثـار والنتائـج الخطيرة التي تسـتوجب التثبُّـت والتـبيُّن... ولأن يخطئَ الإنسان فيها بـالعفو خيـر مـن أن يخطـئ بالعقوبـة، والسـلامة أن يوفَّـق العبـد للصـواب، والله تعالى أعلم.

وإذا كـان الأمـر كـذلك؛ فأهـل البـدع فيهـم المنافق الزنديق، فهذا كافر، ويكثر مثل هذا في الرافضـــــــــــــة والجهميـــــــــــــة؛ فـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــإن رؤساءهم كانوا منافقين زنادقة، وأول مَـن ابتـدع الرفض كان منافقًا، وكـذلك التجهـم؛ فـإن أصـله زندقة ونفاق...

ومن أهل البدع من يكون فيه إيمـانٌ - باطنًـا وظاهرًا -، لكن فيه جهلٌ وظلـمٌ، حـتى أخطـأ مـا أخطأه من السنة، فهذا ليس بكافر، ولا منافق.

تحديد الفرقة الناجية وأحوالها:

بعدما تـبين أن أصـل الإسـلام ثـابت لمعظـم الفـرق الثنـتين والسـبعين؛ بقـي تحديـد الفرقـة الناجيـة مـن بينهـا، والـتي تطـابقت دعواهـا مـع حقيقتها، وما هي الأحوال التي تمر بها؟

ثـم الإشـارة إلـى بعـض معـاني غربـة هـذه الفرقـة فـي وسـط هـؤلاء المنحرفيـن الهـالكين؛ سـواء مـن عُـد ُوا منهـم كفـارًا مرتـد ِين، ومـن عُـد ُوا داخليـن فـي مسـمَى الإسلام جملة.

وهناك شعورٌ يختلج في ذهن كثير من الناس حين يقرؤون مثل هـذا العنـوان؛ يقولـون: ومـاذا عسى أن يأتي الباحث بجديد في هذا الموضـوع؛ إنه لا يعدو أن يردِّد كلامًا سـمعناه مـن قبـل فـي ترجيـح وتفضـيل طائفـة معيَّنـة وتضـليل مَـن عداها؟!

كمـــا يتـــبر َم كثير من الناس من طَرْق مثل هذه المسألة؛ قـــائلين: إنّ َكـــــــــــــل فرقـــــــــــــة وطائفـــــــــــــة تـــد َعي لنفسها النجاة، وترمي غيرها بالكفر والفسوق والعصيان!

فالشـــيعة -مثلاً- يـــد َعون لأنفســـــــهم أنهـــــم أهـــــل الحـــــق، ويضـــل ِلون أهل السنة.

والفرق المختلفة -داخل نطاق أهل السنة- تدَّعي كل منها لنفسها أنها على الحق، وما عداها في ضلال.

وكلٌّ يدعي وصلاً بليلى!

والحق أنه ليس من الضروري اللازم أن يكون الحق كلامًا جديدًا يسمعه المرء لأول مرة؛ بل قد يكون سَمَع الحق مرارًا، ولكن نفسه لم تَقْبَلْه، ولم تَستَجِب له.

ويجب أن ندرك أن الفرقة الناجية إنما هي واحدة فقط من بين ثلاث وسبعين فرقةً، وأن هذه الفرقة تدعي لنفسها النجاة كما يدَّعي أولئك، وليس من المنتظر أن ينزل ملك من السماء يشهد لها بما معها من الحق؛ كما أنه ليس من المنتظر أن تملك هذه الفرقة -على الدوام- الأدلة الضرورية القطعية التي تفيد العلم اليقيني بأنها هي الناجية.

وهي فرقة -من البشر- يكون فيها في بعض الأزمان الأئمة المشهورون الأفذاذ الذين يشرحون أصولها ومناهجها، ويقيمون الأدلة على صوابها، ويدافعون عنها، ويَخلُفَهم في أزمان أُخَرَ مَن لا يملكون القدرة نفسها التي كان يملكها أولئك، ولا يستطيعون أداء المهمة التي أدوها نفسها، وذلك في أوقات استحكام الغُربة واشتدادها.

وقد يوجد في مناوئيها في ذلك الوقت -أو في غيره- أكابر ينشرون مذاهبهم بالجهد العلمي أو العملي، ويردُّون على مخالفهم، ويقارعونهم باللسان أو بالسنان، أو بهما معًا.

كما أنه يوجد في هذه الفرقة -مهما بلغت من الفضل، والعلم، والدين- أخطاء، وزلَّات، وسقطات، وهفوات، ويوجد في داخلها نزاعات، واختلافات، ومشاحنات، ومشاجرات؛ سنة الله في عباده، **(وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً)**[60].

ويكفي أن ننظر إلى تاريخ هذه الفرقة؛ لنُدْرك أن هذا أمرٌ طَبَعِيٌّ، فِطريٌّ، لا ينفك عن البشر[61].

إذًا؛ فتمييز هذه الفرقة الناجية من بين الفرق الهالكة هو من نوع تمييز الإسلام عن سائر الأديان، ومعرفة أحقِّيته من بينها لا يتم إلا بجهد الإنسان وتفكيره ونظره.

ومن خلصت نيّ
َته في طلب الحق، وتجرد من الهوى والعصبيـ
َة، واجتهد وسعه، ولم يألُ، وسلك في هذا الاجتهاد السبيل الصحيح والمشروع؛ فإنه يوفق إلى معرفة الحق واتّ
ِباعه، ولو حصل له نوع خطإٍ -بسبب قصور فهمه، أو غفلته-؛ فهو إن شاء الله من الخطإ المغفور.

الفرقة الناجية هي الجماعة، والسواد الأعظم، وما كان عليه الصحابة:

وحين ننظر في أحاديث الافتراق؛ نجد أنه قد ورد فيها وصف الفرقة الناجية بعدد من الصفات:

1- أنها الجماعة؛ كما في حديث معاوية، وعوف بن مالك، وأنس.

2- ما أنا عليه وأصحابي؛ كما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، وإحدى طرق حديث أنس.

3- أنها السواد الأعظم؛ كما في حديث جابر، وحديث أبي أمامة.

فهذه الصفات الثلاث ثابتة مرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم: أما (السواد الأعظم) و(الجماعة)؛ فلصحَّة أحاديثها، وأما صفة (مَن كان على ما أنا عليه وأصحابي)؛ فلأنها وردت من طريقين ضعفُهما قابل للانجبار؛ بل حسَّن الترمذي إحدى الطريقين[62].

1- ووصفها عليٌّ رضي الله عنه بأنها المستحقة لقوله تعالى: **(وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ)**[63] في حديث أبي الصهباء عنه، وفيه ضعف، وفي رواية يعقوب بن زيد المرسلة.

2- وورد وصف نقيضها -وهي الفرق الهالكـة- بتجاري الأهواء بهم كما يتجارى الكلـ ب بصـ احبه، لا يبقى منه عرقٌ ولا مفصلٌ إلا دخله؛ كما في حديث معاوية، وهـ و يقتضـ ي -بمفهـ وم المخالفـ ة- سـ لامة الفرقة الناجية من الهوى.

ويوضِّح هذه الدلالة أنه إذا كـان اتِّبـاع الهـوى هو سبب هلاك مَن هلك، فعصـيان الهـوى واتِّبـاع الحق هو سبب نجاة من نجا.

ويوضحها -أيضًا- أن أبا أُمامة رضـي اللـه عنـه استشهد بحديث الافتراق حين جيئ بخمسـين مـن رؤوس الأزارقـــة، فنُصـــِبَتْ علـــى درج مســـجد دمشق[64].

3- كما ورد وصف نقيضها بـأن فـي قلـوبهم زيغًا، وأنهم يتَّبعون ما تشـابه مـن الكتـاب ابتغـاء الفتنة وابتغاء تأويله؛ كما في حـديث أبـي أُمامـة أيضًـا[65]، وقـد استشـهد بآيـة آل عمـران: **(هُ و الَّــذي أَنْــزَلَ عَلَيْــكَ الكتَــابَ منْــهُ آيــاتٌ مُحْكماتٌ هُنَّ أُمُّ الكتَاب وَأُخَـرُ مُتَشـابهات فَأَمَّا الَّذين في قُلُوبهمْ زَيْـغٌ فَيَتَّبعـونَ مـا تَشَابَهَ منْهُ ابْتغـاءَ الفتْنَـةِ وَابْتغـاءَ تَـأْويلِهِ)** [66].

وهـذا يقتضـي سـلامة قلـوب أهـل الفرقـة الناجية من الزَّيغ، وسلامتهم من اتِّبـاع المتشـابه من الكتاب.

والجماعة تُطْلَق على الاجتماع على الشيء، وتُطْلَـق -أيضًـا- علـى القـوم المجتمعيـن - كمـا يقال: الصـحابة؛ لمـن صـحب النـبي صـلى اللـه عليه وسلم فهي اسمٌ ومصدرٌ.

وفي معنى الجماعة الواردة في هذا الحديث وغيره أقوال:

أ- فقيل: هم الصحابة[67]. وهذا يوافـق قـوله في الحديث الآخر: "ما أنا عليه وأصحابي".

ب- وقيل: هم أهل العلم[68]؛ كما قال الترمذي: "وتفسير الجماعة عند أهل العلم هم أهل الفقه والعلم والحديث".

قال: "وسمعتُ الجارود بن معاذ يقول: سمعتُ علي بن الحسن يقول: سألتُ عبد الله بن المبارك: مَن الجماعة؟ فقال: أبو بكر وعمر. قيل له: قد مات أبو بكر وعمر, قال: فلان وفلان. قيل له: قد مات فلانٌ وفلانٌ. فقال:... أبو حمزة السكري جماعة".

قال أبو عيسى:" وأبو حمزة هو محمد بن ميمون، وكان شيخًا صالحًا، وإنما قال هذا في حياته عندنا"[69].

وهذا القول هو قول الإمام البخاري[70].

جـ- وقيل: الجماعة هي ما وافق الحق[71]. فكأنها -حينئذ- ترجع إلى معنى مَن تحقَّق به، فهو الجماعة، حتى ولو كانوا أفرادًا قليلين.

د- وقيل: هم السواد الأعظم المجتمعون على إمام يحكم بالكتاب والسنَّة، وبجانبهم الهوى والبدعة، وينصر الحق وأهله[72].

وهذه الأقوال تجتمع في حـال مـن الأحـوال؛ بحيـث تصـبح الجماعـة المبايعـة لإمـام، متفقـة عليه، ملتزمة بالإسلام التزامًـا صـحيحًا؛ اعتقـادًا، وقولاً، وعملاً؛ كما كان حـال الصـحابة مـع نـبيِّهم صلى الله عليه وسلم.

وهنا يجتمع معنى (الجماعة) مع معنى (ما أنا عليه وأصـحابي)، فقـد كـان هـو وأصـحابه صـلى اللــه عليــه وســلم هــم (الجماعــة) بــالمعنى الشــامل الكامــل مــن الناحيــة النظريــة، ومــن الناحية العملية.

وهم كـانوا (السـواد الأعظـم) و(أهـل العلـم والفقه والحديث)، وهم كانوا (الحق) القائم فــي صورة بشرية تدبُّ على الأرض.

ولهذا لما سُئلت عائشة رضي الله عنهـا عـن خلق النبي صلى الله عليه وسلم؟ قالت: "كان خلقه القرآن"[73].

ولهـذا كلـه اسـتحقُّوا رضـوانَ اللـه، وثنـاءه عليهــم، وتزكيتــه لهــم، واســتحقوا أن يكونــوا (الأنموذج) الواقعي الذي تعرف -بالقياس عليـه- الفرقـة الناجيـة الموافقـة لـه، والفـرق الهالكـة المخالفة له.

وقد حقق هذا الجيل في تلك الفـترة صـفتي (التكامل) و(الكمال)، فقد كان واقعهم متكامــل الجوانب، مستجمع الشروط:

فهناك الإمام العادل، الحـاكم بشـريعة اللـه، المقيم لحدوده، المعلن للجهاد وهو رسول صلى الله عليه وسلم، ثم الخلفاء الراشدون.

وكانت الرعية مجتمعة على هذا الإمام، غيــر مختلفة عليه.

وكانوا يمثلـون سـواد الأمـة الإسـلامية؛ مـن حيث إنهم الكثرة المجتمعة علـى الحـق؛ بـل لـم يكـن ثمـة غيرهـم مـن المسـلمين مـن ينـازعهم لبيعة إمـام آخـر - إلا مـا حـدث فـي أواخـر عهـد الخلفاء الراشدين-.

كما كانوا يمثلون السواد مـن جهـة الـتزامهم بالمنهج الصحيح المتلقى عـن النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم فـي الاعتقـاد، والعمـل، والحكـم، والسلوك، ولم يكن ثمة من أهل البدع من يظهـر بدعته، ويعلنها، ويجمع النـاس عليهـا؛ إلا مـا كـان فـي أواخـر عهـد الخلفـاء، ولـم يتلطـخ أحـد مـن الصحابة ببدعة.

وكـانوا يمثلـون (طائفـة العلمـاء والفقهـاء)، فهم أهل التعليم، والتوجيه، والقضايا، والفتيا.

وبــذلك (تكــاملت) فيهــم الجــوانب الــتي بتكاملها توجد الفرقة الناجية في أكمل صورها.

أما مـن حيـث (الكمـال)؛ فقـد حققـت هـذه الفئــة القــدر الأكــبر مــن الصــفات الفرديــة والجماعية بقدر ما يطيق البشر.

وتنـزَّهت -إلى أبعد حدٍّ ممكـن- عـن صـفات الضـعف البشــري، وانعتقــت مــن قيــود الأرض والطين، وعبودية الأهواء والشهوات والمطامع.

فحققت -بهذا وهذا- أكمل صورة يمكن أن يحققها البشر، واستطاعت أن تحفظ للإسلام قوَّته ومكانته؛ بل وأن تزيد من توسُّعه وانتشاره، فلم يكونوا غرباء في وقتهم؛ لأنهم هم الأمة الحاكمة المسيطرة، ولم تكن الفرقة الناجية غريبة؛ بل كانت السواد الأعظم -واقعًا ومنهجًا- وكانت البدع ضعيفة، وأهلها مستخفون، والصولة والجولة كانت للسُّنة وأهلها[74].

وإذا كـــان الصـــحابة رضـــي اللـــه عنهـــم حقّ
َقوا هذه الصورة العظيمة التي كان فيها الحق ه و المهيمن الحاكم، وبه يدين المؤمنون جميعً ا؛ فـإن الأجيال التي جاءت وتجيء بعـدهم، وتسـعى إلـى اقتفاء آثارهم، وملازمة طريق النجـاة؛ قـد تحقـق صـورة (شـبيهة) بتلـك الصـورة المثاليـة، فيوجـد السـ لطان والقـ رآن والاتبـاع فـ ي جماعـة شـ ريعة واحـدة، يحكمهـا إمـام شـرعي، يحكـم بالكتـاب والسنة.

وقـد تحقـق (أجـزاء) أو (جـزءًا) مـن تلـك الصورة -فحسب-:

أ- فقد يوجد سلطان مسلم منحرف، يحمـل الناس على انحرافه، ويوجد بإزائه قومٌ من (أهل العلم والفقه والـدين)؛ ينابـذون هـذا الانحـراف، وينكرونـه؛ كمـا حـدث أيـام الإمـام أحمـد مـع المأمون[75].

ب- وقـد توجـد (جماعـة العلمـاء والفقهـاء)، ولكن لا يوجد الإمام المسلم الحاكم بشرع اللــه، كما يقع في أيام الاضطرابات والفتن، التي تخلـو الأرض فيها من حاكم مسلم، سـواء التـفَّ حـول العلمـاء سـوادُ النـاس وجمهـورهم، أو باعـدوهم واتبعوا أمر دعاة الفتن والضلالة.

جـ- وقد لا يوجد هذا ولا ذاك، فلا يوجـد الإمـام المسلم -حتى ولو كان مبتدعًا أو عاصيًا-، ولا يوجد العلماء والفقهاء المعروفون بالسنة والاتباع.

والحديث -حديث الافـتراق والفرقـة الناجيـة- وغيرهـــــــا يلـــــــزم المســـــــلم أن يحقِّـق من الصورة المثالية الكاملة -صورة الجماعــة، والسواد الأعظم، وما كان عليه النبي صلى اللــه عليه وسلم وأصحابه- بقدر ما يستطيع، ويتعامل مع واقعة الذي يعيشه بحسبه.

فإن وجد الجماعة والإمام؛ لزمهم، وإن وجـد الإمام المخالف للسنة وما كان عليه النبي صـلى الله عليه وسلم وأصحابه؛ لزم طاعته في طاعـة اللـه، وخـالفه فـي انحرافـه وبـدعته، وإن وجـد جماعـة أهـل الفقـه والعلـم والحـديث؛ لزمهـم واتَّبعهم، وإن لم يجد هذا ولا هذا؛ دعا إلى الحق، وإقامة الجماعة والسلطان، فإن لم يطـق ذلـك؛ اعتزل الفرق الضالة المنحرفة الهالكـة، ولـو أن يعض بأصل شجرة حتى يدركه الموت وهو علـى ذلك؛ كما في حديث حذيفة رضي الله عنه قـال: كان الناس يسألون رسول الله صـلى اللـه عليـه وسلم عن الخير، وكنت أسأله عن الشـر مخافـة أن يدركني.

فقلتُ: يا رسـول اللـه! إنـا كنـا فـي جاهليـة وشرٍّ، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخيـر من شرٍّ؟

قال: "**نعم**".

قلتُ: وهل بعد هذا الشر من خير؟

قال: "**نعم، وفيه دَخَنٌ**"(76).

قلتُ: وما دَخَنُه؟

قال: "**قومٌ يهدون بغير هـديي، تعـرف منهم وتُنْكِر**".

قلتُ: فهل بعد ذلك الخير من شر؟

قال: "**نعم؛ دعاةٌ إلى أبواب جَهَنَّم، مَن أجابهم إليها قَذَفوه فيها**".

قلتُ: يا رسول الله! صِفْهم لنا.

قال: "**هم من جِلْدتنا، ويتكلَّمون بألسنتنا**"

قلتُ: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟

قال: "**تلزم جماعة المسلمين وإمامَهم**".

قلتُ: فإن لم يكن لهم جماعةٌ ولا إمامٌ؟

قال: "**فاعتزل تلك الفرق كلَّها، ولو أن تَعَضَّ بأصل شجرة، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك**"[77].

فالرسول صلى الله عليه وسلم يأمر حذيفة رضي الله عنه بلزوم جماعة المسلمين، ولزوم إمامهم، وهذا يشمل ما إذا كان العلماء والفقهاء هم أهل الحكم والسلطان، وكذلك إذا كان السلطان في غيرهم من المسلمين الذين يحكمون بشرع الله.

وهو يدلُّ على أن المـرء لـو لـم يجـد إلا أحـد الأمريــن مــن الجماعــة أو الإمــام؛ وجــب عليــه لزومه، ولذلك قال حذيفـة: "فـإن لـم يكـن لهـم جماعة ولا إمام"؛ يعني: فُقِدَ الأمران معًا.

فهذه ثلاثة أحوال: أن توجد الجماعة والإمام، أو توجــد الجماعــة فحســب، أو يوجــد الإمــام فحسب، والحال الرابع ألا يوجد جماعة ولا إمــام، وهي الحال التي تشرع فيها العزلة[78].

إذًا؛ فالفرقة الناجية في أكمل صورها هي ما كان عليه الصحابة، وهي الجماعة، وهـي السـواد الأعظم، فإذا قَلَّ الخير في الأمة وضعف؛ تفــرق فــي طوائــف عديــدة منهــا؛ كالعلمــاء المتبعيــن للســنة، والأمــراء الملــتزمين بشــرع اللــه فــي حكوماتهم، ولو كان فيهم هوى وبدعة.

ومن أجل تمييز الحق من الباطل، وبيان مـن يستحق أن يوصف بأنه من الفرقة الناجيـة ممـن لا يستحق ذلك -في زماننا وفي كـل زمـان- لابـد من عـرض بع ض الخصـائص الـتي تميـز الفرقـة الناجيــة، ثــم الحــديث عــن بعــض المســميات المرتبطة بها.

خصائص الفرقة الناجية:

حين يصف الرسول صلى الله عليه وسلم الفرقة الناجية بأنهم: (من كان على ما كان عليه وأصحابه)؛ فإنه بذلك يشدُّهم إلى (المثل الأعلى)، الذي تحقَّقت فيه، وبرزت من خلاله خصائص الفرقة الناجية، وهي:

1- الاستجابة الكاملة للوحي، وعدم التقديم بين يديه:

إن العلم والفقه الصحيح الكامل في العقائد والشرائع والآداب وغيرها لا يكون إلا عن طريق الوحي المنزل -قرآنًا وسنة-، وذلك بالعلم بالله، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، ومعرفة ما يجب له، وما يُنَزَهُ عنه سبحانه، والعلم بالملائكة، والكتاب، والنبيين، والعلم بالآخرة، والجنة، والنار، والعلم بالشرائع المجملة والمفصَلة، والأحكام المتعلقة بالمكلفين، والعلم بالمسلك الصحيح الذي ينبغي سلوكه في سائر الأحوال: في الغضب والرضا، والقصد والغنى، في الأمن والخوف، في الخير والشر، في الهدنة والفتنة.

والـتزام الـدليل الشـرعي - بحيـث لا يكـون للمسـلم أمـام الـدليل أو النـص تـرد ُد، ولا شك، ولا اختيار - هو منهج الذين أنعـم اللـه عليهم بالإيمان الصحيح: **(وَمَا كانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَـةٍ إِذَا قَضـَى اللـهُ وَرَسـُولُهُ أَمْـرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ)**[79].

فـالمؤمن الحـق لا يكـون لـه مـع النـص ِ ميـل، ولا هـوى؛ بـل يسـلم قيـاده للـدليل، حـتى يصدق عليه أن هواه تَبَع لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم[80].

وقد ذمَّ الله تعـالى قومًـا، وكفَّرهـم، وأحبـط عملهم؛ لكراهتهـم مـا أنـزل اللـه، وتـبرُّمهم بـه، فقال: (**وَالَّذينَ كفَرُوا فَتَعْسـًا لَهُـمْ وَأَضـَلَّ أَعْمَالَهُمْ. ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كرهُوا مَا أَنْـزَلَ اللـهُ فَأَحْبَطَ أَعْمالَهُمْ**)[81].

ومن كان شأنه مع (النص) كذلك؛ التزامًا، ووقوفًا عنده، وعدم تقديم بين يديه؛ فهو ممّن ينتفع بالوحي أعظم انتفاع، فيهتدي به، ويَهدي إليه.

ولذلك ذكر الله -في كتابه- الكفار الذين حقت عليهم كلمة العذاب من الجن والإنس، وأن لهم قلوبًا لا يفقهون بها، وأعينًا لا يبصرون بها، وآذانًا لا يسمعون بها، وقال في حقهم: (**أولئكَ كالأنْعَامِ بَلْ هُمْ أضَلُّ أولَئِكَ هُمُ الغَافِلونَ**)[82].

إذ هم لا ينتفعون بالنصوص -وإن سمعوها-، كما لا ينتفعون بالآيات الكونية المشهودة، ولا يعقلون هذه ولا تلك.

وعقَّب على ذلك بذكر الملحدين في أسمائه - سواء بتسمية الأصنام بأسمائه تعالى، أو بتحريف أسمائه عن معانيها الحقيقية، أو بتسميته بما لم يسمِّ به نفسه، أو بغير ذلك من ألوان الإلحاد[83]-، وتوعَّدَهم بقوله: (**سَيُجْزَوْن مَا كانُوا يَعْمَلُونَ**)[84].

وبين هؤلاء وأولئك وجه شبه؛ من حيث عـدم انتفــاعهم بالنصــوص؛ لأن الهــوى، والتحريــف، والتأويل، والإلحاد، سبق إلى نفوسهم، ووقر في قلـوبهم، فلـم يصـادف النـص مكانًـا فارغًـا فـي القلب، ولم يستقر فيه.

وعقّ
َب على هذين الصنفين المذمومين بذكر الصـنف المحمود -وإن كـان قليلاً-، وهـم أصـحاب محمـد صلى الله عليه وسلم ومن كـان علـى مثـل مـا كـــــــانوا عليـــــــه، فقـــــــال: (**وَممّ**
َـــــــــــــــــــنْ خَلَقْنـــــــــــــــــــا أمّ
َـــــــــــــــــــةٌ يَهْـــــــــــــــــــدُونَ بـــــــــــــــــــالحَق
ِ وَبِهِ يَعْدِلُونَ)[85].

فهم المهتدون بالوحي الإلهي، الهادون إليـه، الحاكمون به بين الناس[86]؛ كما سبق في حديث علي رضي الله عنه للجاثليق.

وفي موضع آخر ذكـر الكتـاب المنــزل، وأن منــه آيــات محكمــات هــن أمُّ الكتــاب، وأخــر متشابهات، فأشار بهذا إلى أن المحكم هو (الأم) و(الأصــل) الــذي يجــب رد المتشــابه بــه إليــه؛ لوضـوح دلالتـه، وظهورهـا، وعـدم الاختلاف فـي معناه؛ بخلاف المتشابه.

وبيَّن أن هذا مسـلك الراسـخين فـي العلـم، وأن مسلك الذين فـي قلـوبهم زيـغٌ وهـوى أنهـم يتبعون المتشابه ليحملوه على أهـوائهم؛ يبتغـون بــذلك تــأويله، وصــرفه عــن معنــاه الحقيقــي المقصود إلى معان من عند أنفسـهم، فيفتتنـون هم بذلك، ويخادعون أنفسـهم، فيتوهَّمـونه حقًّـا، ويفتنون غيرهم من الأتباع الذين لا يميِّـزون بيـن الحق والباطل؛ لغفلتهـم، وتعصُّبهم لرؤسـائهم، وحسن ظنهم بمشايخهم.

قــــــــــال تعـــــــــالى: (**هُـــــــــوَ الّذي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَـاتٌ هُـــــــــــــــــــــــــــــــــــن أُمّ الكتَـــــــاب وَأُخَــــــــرُ مُتَشــــــــَابهاتٌ فَأَمّـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــا الّـــــــذينَ فــــــي قُلُـــــــوبهمْ زَيْـــــغٌ فَيَتّبعونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتغَاءَ الفتْنَــة وَابْتغَــاءَ تَــــأْويلِهِ وَمَــــا يَعْلَــــمُ تَــــأْويلَهُ إلا اللــــهُ والراســــخونَ فـــــي العِلْـــــمِ يَقُولُـــــونَ آمَنّــــــــــــــــا بـــــــــــــــه كُــــــــــــــــــــــــــــــــــــــل مــــــــــــــــنْ عِنْـــــــــــــــــــد رَبّنَـــــــــــــــا وَمَـــــــــــــــــا**

يَـــــــــــــــــــــــذ
كَّ َ
َرُ إلا أُولو الألْبابِ)[87].

عن عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسـول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآيـة... قـالت: قال: "**فإذا رأيت الَّذين يتَّبعُـون مـا تشـابه منـــه؛ فأولئـــك الـــذين ســـمَّى اللـــه؛ فاحذروهم**"[88].

ولما ذكـر الرسـول صـلى اللـه عليـه وسـلم الخوارج؛ قـال فـي شـأنهم - فيمـا يرويـه أبـو سعيد الخدري رضي الله عنه-: "**يَحْقر أحــدُكُم صلاتَهُ مع صلاتهم، وصيامَه مع صــيامهم، يقـــرؤون القـــرآنَ، لا يجـــاوزُ تَرَاقِيَهـــم، يمرُقون من الدِّين كما يمْرُقُ السَّهْمُ مــن الرَّمِيَّة**[89]**؛ يَنْظُـرُ إلـى نَصـْلِهِ**[90] **فلا يوجـد فيه شيء، ثــم يَنْظُــرُ إلــى رصـافه**[91] **فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى نَضـِيِّه** -وهـو قـدحه[92]- **فلا يوجد فيـه شـيء، ثـم ينظـر إلـى قـذذه**[93] **فلا يوجـد فيـه شـيء، قـد سبق الفرثَ والدَّم**"[94و95].

شبه صلى الله عليه وسلم خروج الخـوارج من الدين بعد دخولهم فيه، وأنه لم يبق لهم منـه شيءٌ بالسـهم الـذي يصـيب الطيـر، فينفـذ فيـه بسرعة، ثم يخرج منه قبـل أن يعلـق فيـه شـيء يُذكر من الفرث والدَّم[96].

ووصـفهم صـلى اللـه عليـه وسـلم بقـراءة القرآن، ومع ذلك فهو لا يجاوز تراقيهم، وقد فهـم العلماء من ذلك أحد معنيين:

الأول: أن قلـــوبهم لا تفقهـــه ولا تـــدرك معانيه[97]؛ لأنها أُشْرِبَت (الهوى)، فصارت تحمـل القرآن على معانٍ ليست صـحيحة، وتسـتدل بـه لآرائهـا المنحرفـة، وتأخـذ بمتشـابهه، وتـترك محكمه.

فتتمسـك -مثلاً- بقـوله تعـالى: **(بَلَـى مَـن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطيئَتُهُ فَأُولَئـك أَصْحابُ النَّار هُمْ فيها خَالدونَ)**[98].

وقــوله: **(وَمَــنْ يَعْــصِ اللــه وَرَسـُولَهُ فَــإِن لَــهُ نَــارَ جَهَنّمَ خَالدينَ فيها أَبَدًا)**[99].

وقــوله: **(فَأَنْــذَرْتُكُمْ نَــارًا تَلظَّــى ▪ لا يَصْلاهَا إلا الأَشْقَى ▪ الـذي كـذَّبَ وَتَـوَلَّى)**[100].

وتغفـل عـن قـوله: **(إنَّ اللـه لا يَغْفـرُ أَنْ يُشْرَكَ به وَيَغْفرُ مَا دونَ ذَلكَ لمَـنْ يَشـاءُ)**[101].

وقوله: **(إنْ تَجْتَنبوا كبَائرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْـهُ نُكفّرْ عَنكُمْ سَيِئَاتِكُمْ وَنُدْخلْكُم مُدْخَـلاً كريمًا)**[102].

وقـوله: **(وَإنْ طَائفَتَـان مـنَ المُـؤْمنينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلحُوا بَيْنَهُمَا..)**[103].

فأثبت لهم الإيمان مع وقوعهم في الاقتتال.

... إلى غير ذلك من الآيات[104].

وإذ قد وقَرَ في قلوبهم من الصنف الأول من الآيات معنى يوافِقُ الهوى الذي أُشْرِبوه؛ لم ينتفعوا بالصنف الثاني؛ بل حصروا همَّهُم في أوجه تأويله ودفعه.

وهكذا شأن أصحاب البدع كافة.

المعنى الثاني: أن المراد بقوله: "لا يجاوز تراقيهم"؛ أي: لا يُثابون عليه، ولا يرتفع إلى الله؛ لأنه عملٌ غير صالح[105].

وكلا المعنيين صحيحٌ، والثاني فرعٌ عن الأول، ونتيجةٌ له.

وحين تتأمّل الوصف النبوي البديع بشأن الخوارج مع الدين الذي يزعمون أنهم -وحدَهم- الممسكون به، العاضون عليه، وأن غيرَهم -حتى الصحابة- قد خرجوا منه؛ تَجدْ دلالة عظيمة على فقدان انتفاعهم بالنصوص، حيث يدخلون -مثلاً- في قراءة القرآن ويخرجون منها؛ ما ازدادوا إلا شدةً في بدعتهم، وغلوًّا فيها، لم يَعْلَق في قلوبهم من معاني القرآن شيء.

وهذا فيه دليلٌ على أنَّ أعظم مسألة تواجه قارئ النص أو الوحي هي طبيعة موقفه من النص، ومدى استجابته له.

وبناء على هذه المسألة الخطيرة وما يـترتَّب عليها، يتحدَّد موقع الإنسان، وهل هو من الفرقــة الناجية؟ أم من الفرق الهالكة؟

ولقد كان الصحابة رضـي اللـه عنهـم أعظـم من غيرهم انتفاعًا بالدليل والوحي، وتسليمًا لــه؛ لأسباب عديدة؛ منها:

1- نزاهة قلـوبهم، وخلوهـا مـن كـل ميـل أو هوى غيـر مـا جـاءت بـه النصـوص، واسـتعدادها التامِّ لقبول ما جاء عن اللـه ورسـوله، والإذعـان والانقياد له انقيادًا مطلقًـا؛ دون حـرج، ولا تـردُّد، ولا إحجام.

2- معاصرتهم لوقت التشريع ونزول الـوحي، ومصاحبتهم للرسول صلى الله عليـه وسلم فـي جميع أحواله: في الليل والنهار، والحضر والسـفر، والسـلم والحـرب؛ ولـذلك كـانوا أعلـم النـاس بملابسات الأحوال التي نزلت النصوص فيها.

والعلم بملابسات الواقعة أو النص من أعظم أسباب فقهه وفهمه وإدراك مغزاه.

3- وكـــــانت النصـــــوص -قرآنًـــــا وســـنَةً- تأتي في كثير من الأحيان لأسـباب تتعلـق بهـم -بصـــورة فرديّـــة، أو جماعيـــة-، فتخـــاطبهم خطابًـــا مباشـــرًا، وتـــؤثِر فيهم أعظم التأثير؛ لأنهـا تعالـج أحـداثًا واقعيـة، وتعقّـِب عليها في حينها، حيث تكون النفوس مشحونة بأسباب التأثُّر، متهيئة لتلقِّي الأمر والاستجابة له.

4- وقد أعفاهُم قربُ عهدهم بالنبي صلى الله عليه وسلم من الجهد الذي احتاج إليه مَن بعدَهم في تمييز النّ
ُصوص وتصحيحها، لم يحتاجوا -في غالب أحوالهم- إلى سلسلة الإسناد، ولا معرفة الرجال والعلل وغيرها، ولم يختلط عليهم الصحيح بغيره، ومن ثمَّ لم يقع عندهم التردُّد في ثبوت النص الذي وقع عند كثير ممن جاء بعدهم -خاصة من أصحاب النفوس المريضة، أو من الجهلة الذين لم يدرسوا السُّنةَ ويفقهوها رواية ودراية-، فكانوا إذا سمعوا أحدًا يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ابْتَدَرَتْهُ أبصارُهم؛ كما يقول ابن عباس رضي الله عنه[106].

وحتى حين كُثُرَ الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودَخَلَ فيه الوضع؛ كان عند الباقين من الصحابة من الصحيح الثابت ما يُغنيهم، وكان بعضهم يأخذ عن بعض، حيث تتوفر الثقة، ولذلك قال ابن عباس في الأثر السابق: "فلما ركب الناس الصعْب والذلول؛ لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف"[107].

وكذلك كانوا يأخذون عن ثقات التابعين؛ كما قال معاوية رضي الله عنه: "هذا مالك بن يخامر -وبه النسمة- يزعم أنه سمع معاذًا يقول: وهم بالشام"[108]، يعني: الطائفة المنصورة.

2- التأثُّر الوجداني العميق بالوحي والإيمان:

إن هذا العلم الصحيح الموثق بالدليل الثابت، كان (علمًا نافعًا)، وليس حقائق ذهنيَّة مجرَّدة يتعامل معها العقل فحسب؛ دون أن يكون لها علاقة بالقلب والجوارح.

وكذلك كان الأمر لدى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، وكذلك يكون لدى (الفرقة الناجية) التي هي على ما كانوا عليه.

فقد أورثهم العلم بالله، وأسـمائه، وصـفاته، وأفعاله: محبَّتَه، والتألُّه إليه، والشوق إلـى لقـائه والتمتع بالنظر إلى وجهه الكريم في جنة عدن.

وأورثهم تعظيمَه، والخـوفَ منـه، والحـذرَ مـن بأسه وعقابه وبطشه ونقمته.

وأورثهم رجاءَ ما عنده، والطمع فـي رضـوان وجنتـــــــــــــــه، وحســـــــــــــنَ الظـــــــــــــــــــــــــــــــــــن بـه.

فـاكتملت لـديهم -بـذلك- آثـارُ العلـم بـالله والإيمان به، وهي: الحب، والخوف، والرجاء.

وأورثهـم العلـمُ بالجنـة والنـار: الرغبـةَ فـي النعيم الأبدي السرمدي، والخـوفَ مـن مقاسـاة العـذاب الرهيـب، فقلـوبهم تـتراوح بيـن نعيـم ترجوه وتخشـى فـوته، وعـذاب تحـذره وتخشـى وقوعه.

فتعلَّقــت قلــوبهم بــالآخرة -فكــرةً وخوفًــا ورجاء-، حتى كأنها ترى البعث والقيامة والميزان والصراط والجنة والنار رأي عين، حـتى إذا عالـج أحدهم أمرًا من أمـور دُنيـاه الـتي لابـدَّ لـه منهـا؛ أنَّبته نفسُه، وعاتَبَهُ ضميرُه!

فعن حنظله بن الربيع الأسيدي رضي الله عنه، قال: لقيَني أبو بكر، فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قال: قلتُ: نافقَ حنظلة! قال: سبحان الله! ما تقولُ؟ قال: قلتُ: نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكّرنا بالنار والجنة حتى كأنَّا رأيَ عين، فإذا خَرَجْنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ عافسنا[109] الأزواج والأولاد والضَّيعات[110]، فنسينا كثيرًا! قال أبو بكر: فوالله إنا لَنَلْقى مثل هذا. فانطلقتُ أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم: قُلتُ: نافق حنظلةُ يا رسول الله! فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: "**وما ذاك؟**"، قلتُ: يا رسول الله! نكون عندك تذكّرنا بالنار والجنَّة، حتى كأنَّا رأيَ عين، فإذا خرجنا من عندك؛ عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات؛ نسينا كثيرًا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**والذي نفسي بيده؛ إنْ لو تدومون على ما تكونون عندي، وفي الذكر؛ لصافحتكم الملائكة على فُرُشِكم، وفي طرقكم، ولكن -يا حنظلة!- ساعة وساعة**"؛ ثلاث مرات[111].

فأشار صلى الله عليه وسلم إلى طلب الترقِّي، والحرص على يقظة القلب، وحفظه من الغفلة المهلكة، كما أشار إلى أن الحال التي كان ينشدها حنظلة رضي الله عنه أقرب إلى شأن الملائكة منها إلى شأن البشر، وليس مطلوبًا من المسلم تحقيقُها في نفسه -بصورة دائمة مستمرَّة-.

وأورثهم علمُهم بالقدر، وأنه أمرٌ قد فُرغ منه:

التوكّل

يُدلل على الله، وعدم التوكّل

يُدل على الأسباب، وعدم الفرح بما أُوتوا، ولا الأسي على ما مُنِعوا، والإجمال في الطّلب، إذ لن يفوت المرءَ ما قدر له، ولن يأتيه ما لم يقدر، كما غرس في قلوبهم الشجاعة والإقدام، حتى كان عليٌّ رضي الله عنه يخوض الحرب ويقول:

أيُّ يَوْمَيَّ مِنَ الموتِ أفَرّ

يَـــــــــــــــــــــــــــومَ لا يُقَــد ـَرُ أو يَـوْمَ قُـدِرْ

يَـومَ لا يُقَـدَّرُ لا أَرْهَـبُـهُ
ومِـــنَ المَقْـــدُورِ لا يُنْـجــــي الحـذَرْ[112]

وأورثهــم علمُهــم بــالموت وإيمــانُهم بــه: العــزوفَ عــن الــدنيا، والإقبــال علــى الآخــرة، والدوام على العمـل الصـالح، إذ لا يـدري المـرء متى يموت؟ والموت منه قريب.

وهــذه المعــاني الوجدانيــة هــي المقصــود الأعظم من تحصيل العلم، وإذا فُقِـدَت؛ فلا ينفـع مع فقدها علمٌ؛ بل هو ضررٌ في العاجل والآجل.

ولذلك يقول أبو الدَّرداء رضي الله عنـه: كنـا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فشَخَصَ ببصــره إلــى الســماء، ثــم قــال: "**هــذا أوانُ يُخْتَلسُ العلمُ من النــاس حــتى لا يقــدروا منهُ على شيء**"، فقال زياد بن لبيد الأنصاريُّ: كيـف يُخْتَلـسُ منـا وقـد قرأْنـا القـرآن؟ فـوالله لَنَقْرَأَنَّه وَلَنُقْرِئَنَّهُ نساءنا وأبناءنا، فقال: "**ثَكِلَتْــكَ أُمُّكَ يا زياد! إن كنــتُ لأعــدُّك مــن فقهــاء أهل المدينة! هذه التوراة والإنجيــل عنــد اليهود والنصارى، فمــاذا تُغنــي عنهــم؟**"، قال جُبيرٌ[113]: فلقيتُ عُبادة بن الصـامت؛ قلـتُ: ألا تسـمعُ إلـى مـا يقـول أخـوك أبـو الـدَّرداء؟ فأخبرتُه بالذي قال أبو الدَّرداء؛ قـال: صـدق أبـو الدَّرداء، إن شئتَ لأحدِّثَنَّكَ بـأوَّل علـم يُرفـع مـن الناس: الخشوع، يوشك أن تدخل مسجد جماعة فلا ترى فيه رجلاً خاشعًا[114].

ولقد كان للصحابة رضي الله عنهم من هـذه المعـاني الوجدانيـة أعظـمَ نصـيب؛ لأن إيمـانهم كان أعمق وأكمل من إيمان غيرهم، ولقد تَلَقَّــوْه غضًّا طريًّا من النبي صلى الله عليه وسلم، لـم يخلق بغبرة الأهواء والغفلات.

على أن ارتباط هذه المعاني العظيمة بالعلم الصحيح المبني على النصِّ والوحي عصمهم بإذن الله من خطرين مُهلِكيْن وقعت فيهما الفرق الهالكة بعد، وحمى الله أصحاب نبيِّه ومَن سار على منهجهم من الفرقة الناجية منهما:

الأول: أن يتحوَّل الأمرُ إلى رهبانيَّة كرهبانية النصارى المُبتدعَة، وعزلة عن الحياة، والجهاد بالدعوة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ومعالجة شؤون الحياة الدنيا التي لا قوام للإنسان إلا بها.

فكان الصحابة فرسانًا بالنهار، رُهبانًا بالليل، لا يمنعهم علمهم وإيمانهم الحق وخشوعهم لله من القيام بشؤونهم الدنيوية؛ من بيع، وشراء، وحرث، ونكاح، وقيام على الأهل والأولاد وغيرهم فيما يحتاجونه، ولا يمنعهم من الجهاد، والدعوة، والقيام بتكاليف الحكومة الدينية التي أورثهم الله إياها -بجهدهم وجهادهم-.

وهكذا يكون شأن الفرقة الناجيـة علـى مـدار الزَّمان، لا تنجرُّ إلى مضاهاة النصرانية فـي رهبانيتهـا واعتزالها؛ بخلاف الصوفية الهالكين، ومَن شابههم مـن الحائـدين عـن منهـج النبـوَّة الـذي سـار عليـه الصـحابة رضـي اللـه عنهـم أجمعين.

الثاني: أن يتحوَّل إلى إعجاب بالنفس، يملأ جوانح المتعبِّد، فيترتب عليه ازدراءٌ واحتقارٌ لأعمال الآخرين، واستهانة بمجهوداتهم في سبيل الدين، وحطٌّ من قدرهم، فيصبح المرء في الحقيقة متعبِّدًا في محراب (الذات)، معظِّمًا للنفس، وهذا مصدر لكل رذيلة خُلقيَّة، وسبب لمحق كل عمل صالح.

والذين يُصابون بهذه البليَّة المردية يشعرون بأنهم -وحدهم- الأوصياء على الدين، ويغلقون عقولهم وأعينهم عن رؤية فضائل الآخرين، فلا يرون إلا العيوب والمساوئ؛ بل تصبح الفضائل عندهم عيوبًا ومساوئ، ويصبح الأمر كما قيل:

إذا محـاسِـني الـلائـي أَدِلُّ بهـا
كانت عيوبًا فقل لي كيف
أعْتَذِرُ؟!

وهذا هو الداء الذي أُصيب به الخوارج -إحدى الفرق الهالكة- حتى أدَّى بهم إلى تكفيـر النـاس كافـة -حـتى الصـحابة الـذين جـاء الـدين عـن طريقهم إلى مَن بَعدهم- ومقاتلتهم[115].

وما كـان ذلـك -فـي الأصـل- لنـصٍّ التبسـت عليهم دلالتُه، وإنما كان لشعور منحرف قـرَّ فـي نفوسهم، وتعاظم أصابهم من العجـب بعبـادتهم، والانتقاص لأعمال غيرهم من الناس.

وهكـــــــــــــــــــــــــــــــــذا تتّ

َضح أهمية ربـط الخصيصـتين إحـداهما بـالأخرى، وتضافرهما في تكوين سمات الفرقة الناجية من هذه الأمة، وتمييزها عن الفرق الهالكة التي تأخذ حظّ

ًـــــــــــــــــــــا ممـــــــــــــــــــــــا ذُكّ

ِـــــرت بـــه وتنســـى حظوظًـــا أخـــرى، فتُضـــــــــــــــــــــــــخ

ِم الجــــانب الـــذي أخـــــذت تضـــخيمًا مَرَضـــــــــــــــــــــــــي

ًا منحرفًــا، وتهمــل غيــره حــتى لا يــرد لهــا فــي حساب.

3- صــياغة الحيــاة العمليــة -الفرديــة والجماعية- على مقتضى الوحي:

إن تلــك المعــاني الراســخة فــي القلــب، المستقرة فيه، لابدَّ أن تثمر ثمرتها الطبيعية فـي سـلوك الإنسـان، بحيـث تتكيَّـف سـائر أعمـاله ومـــــــــــــواقفه وخطراتـــــــــــــه وخطواته مع هذا الشعور اليقظ في القلب.

فيتحقَّـق للمـؤمن؛ مـن العبـادة، والسـلوك، والاســتقامة، ولــزوم الجــادَّة، ومــن الــبر، والإحسـان، والصـلة، والجـود، والإيثـار، وحسـن الخلــق، ومــن الجهــاد، والــدعوة، والأمــر بالمعروف، والنهـي عـن المنكـر، ومـن الصـبر، والثبات، والجـرأة فـي الحـق، ومـن الـترفُّع عـن سفاســف الأخلاق، ومســاوئها، والتنــزه عــن الدنايا؛ يتحقق له من ذلك كلـه مـا يكـون ترجمـة عملية ناطقة لهذا الشعور المستسر في القلب.

وبين هذه الجوانب العملية وغيرها وبين حال القلب علاقةٌ لا يمكن أن تتخلّف، وقد شرحها الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله في حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه: "... **ألا وإنّ في الجسد مُضغةً، إذا صَلَحَتْ؛ صَلَحَ الجَسَدُ كلّه، وإذا فسدت؛ فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**"[116].

فمادة صلاح هذه المضغة هي (الوحي) الذي ينزل عليها نزول المطر على الأرض العطشى، فتَرْوى منه بعد ظمئها، وتثمر الصالح من الاعتقاد والشعور والقول والعمل.

وقد شرح الرسـول صـلى اللـه عليـه وسـلم الترابط الشديد بين العلـم النـافع المُقتَبَـس مـن الـوحي، ومـا يـترتَّب عليـه مـن المعـاني القلبيَّـة الإيمانية، وما ينشأ عنهما مـن الأعمـال الصـالحة المقصــورة علــى صــاحبها، أو المتعديَّــة إلــى الآخرين، وبيَّن ذلك بمثل عظيم.

فعن أبي موسى رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قـال: "**مَثَـلُ مـا بعثنـي الله بـه مـن الهدى والعلم كمثل الغيث الكــثير؛ أصــاب أرضــًا، فكــان منهــا نقيّـَـةٌ، قبلـت المـاء، فـأنبَتت الكلأ والعشـب الكثير، وكانت منها أجادب، أمسكت الماء، فنفع اللـه بهـا النـاس، فشـَربوا وسـقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفةً أخـرى، إنمـا هي قيعان، لا تُمْسك مـاء، ولا تُنْبـتُ كلأ، فذلك مثل مَن فقه في دين اللـه، ونفَعـهُ ما بعثَني الله به، فعلم وعلـم، ومثـل مَـن لم يرفع بذلك رأسًا ولم يقبـل هـدى اللـه الذي أرسلت به**" (117).

قال القرطبيُّ[118]: "ضرب النبي صلى الله عليه وسلم لما جاء به من الدين مثلاً بالغيث العامِّ الذي يأتي الناس في حال حاجتهم إليه، وكذا كان حال الناس قبل مبعثه، فكما أن الغيث يحيي البلد الميِّت، فكذا علوم الدين تحيي القلب الميت.

ثم شبَّه السامعين له بالأرض المختلفة التي ينزل بها الغيث، فمنهم العالم العامل المعلم، فهو بمنزلة الأرض الطيبة: شربت فانتفعت في نفسها، وأنبتت فنفعت غيرها.

ومنهم الجامع للعلم، المستغرق لزمانه فيه، غير أنه لم يعمل بنوافله، أو لم يتفقّ
َه فيما جمع، لكنه أدّ
َاه لغيره، فهو بمنزلة الأرض التي يستقر
ُ فيها الماء، فينتفع الناس به.

ومنهم من يسمع العلم فلا يحفظـه، ولا يعمـل به، ولا ينقله لغيره، فهو بمنـزلة الأرض السـبخة أو الملسـاء الـتي لا تقبـل المـاء، أو تُفْسِـدُهُ علـى غيرها"[119].

وبتأمُّـل وصـف النـوع الأول مـن الأرض بالنقـاء، والمقارنة بينه وبين ما سبق تقريره مـن ضرورة تفريغ القلب من كل هـوى أو ميـل بـإزاء النـص، وجعـل النـص إمامًـا، والقلـب والعقـل تـابعين لـه؛ يتبيَّن بوضوح وصف الفرقة الناجيـة بقبـول الـوحي، وتشـر ُبه؛ كتشرب الأرض المـاء، وسـريان روح الإيمـان والعلم الصحيح في قلوب أفرادها؛ كسريان الماء فـي الأرض الطيبـة، حيـث يمنحهـا الخصـب، والحياة، والنماء.

وهذا القدر من المثل يقابل احتفـال الفرقـة الناجيـة -الصـحابة ومـن بعـدهم- بـالوحي السماوي، وفرحهم به، وإقبالهم عليـه: بـالتعلم، والتأثر، والإيمان، حتى يفعل في قلوبهم الظمأى إليه فعل المطر النازل مـن السـماء فـي الأرض الطيِّبة القابلة للإخصاب.

وهذا يتعلـق بالخصيصـتين: الأولـى والثانيـة، وهمـا: العلـم الصـحيح المبنـي علـى النـص، والأعمال القلبيَّة المترتِّبة على هذا العلم.

ثم يشير المثل إلى الأثر الظاهر للعلم النـافع، المتمثِّل في الأعمال الصالحة القاصرة والمتعدِّية، حيث قال صلى الله عليه وسلم: "**فأنبَتت الكلأ والعشب الكثير**"، فخروج الكلإ والعشب من هذه الأرض الطيبة بعدما مُطِرَت هو نتيجة طبعية، وكذلك صدور الأعمال الصالحة من المؤمن ذي القلب النقي غير المتلوِّث بالأهواء والأخلاط -بعد سماعه الوحي، وعلمه به- هو نتيجة طبعيَّة أيضًا.

وفي المثل عناية ظاهرة جدًّا بأعمال التعليم، والجهاد، والدعوة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وغيرها مما يتعدَّى نفعه للناس؛ إذ إن طيب هذه الأرض ونقاءها ظهر أثره في الكلإ والعشب الكثير الذي ينتفع به الناس والأنعام.

وكذلك صلاح قلب المـؤمن، ونقـاؤه، وتـأثُّره العميـق بـالوحي، يطهـر فـي جهـاده بـالقرآن، وتعليم الناس الـوحي والـذكر، والقيـام بتكـاليف الدعوة إلى الله.

وهـذا يؤكّـد أن مـن صـفات الفرقـة الناجيـة وخصائصـها ألا تعيـش لنفسـها فحسـب، وتـدع النـاس وشـأنهم؛ بـل تعمـل بجـدٍّ علـى تحقيـق الخيرية التي وُصِفَت بهـا هـذه الأمـة فـي قـوله تعـالى: **(كُنْتُـمْ خَيْـرَ أُمَّـة أُخْرِجَـتْ للنَّـاس تَأْمُرُونَ بـالْمَعْرُوف وَتَنْهَـوْنَ عَـن المُنكـر وَتُؤْمنُونَ بالله)**[120].

إذ إن المهمة الربانيـة الـتي انتُـدِبَت لها هـي مهمَّـة علـى مسـتوى الإنسـانيَّة كلِّهـا؛ بهدايـة البشريَّة إلى الحق السماوي المتمثِّـل بالإسـلام، وإقامة الحكومة الدينيَّة التي ترعى هذه المهمَّة، وتـدفع عنهـا العـوادي، وتُزيـل الظلـم عـن المستضـعفين، حـتى تكـون هـذه الفئـة جـديرة بقـوله تعـالى: **(وَممَّـنْ خَلَقْنَـا أُمَّـةٌ يَهْـدُونَ بالحَقِّ وَبه يَعْدلُونَ)**[121].

فيكونـون رسـل هدايـة، ودعـوة، وإيمـان، وأئمـة عدل في الحكـم والقضاء والسلطان.

وسيأتي في فصل الطائفة المنصـورة مزيـد إيضـاح لهـذا المعنـى، إذ إن الجهـاد بالـدعوة هـو أليق بخصائص الطائفة المنصورة وأقرب، ولكنَّه يدخل في خصـائص الفرقـة الناجيـة؛ باعتبـار أن الطائفـة المنصـورة هـي (جـزء) مـن الفرقـة الناجية، وهي تقوم بفروض الكفايات التي قصَّـر فيها غيرها، ومن حولهـا الفرقـة الناجيـة؛ تؤيِّـدها وتؤازُرها.

أما العنصر الثـاني فـي المثـل -وهـي الأرض الجـدباء، الـتي أمسـكت المـاء، فنفـع اللـه بهـا الناس، فشـربوا، وسـقوا منهـا، وزرعـوا-؛ فهـذه الأرض غير قابلة للحياة والنماء والخصـب، وإنمـا نفعها حفظ الماء للناس، وهي تقابل مـن يحمـل المعرفـة بـالوحي والشـرع، ولا يكـون لـديه مـن الإيمـان واليقيـن والشـعور القلـبي المـتيقِّظ مـا يتناسب مـع هـذه المعرفـة، ولا يقـوم بالأعمـال الصالحة التي تُنْتَظَر من مثلـه، وإنمـا هـو حـافظ لعلم الشريعة، مبلِّغٌ هذا العلم إلى مَن هـو أفقـه منه به، وأكثر انتفاعًا وتقبُّلاً وإيمانًا.

ولابد
َ من
تصو
ُر وجود (قدر) مشترك من
التأث
ُر عند هذه الطائفة بالعلم الذي تحمل؛ لأن حامل
علم الشريعة
لابد
َ أن يكون -على أقل تقدير- مسلمًا، بعيدًا عن أن
يُزَن
َ بوصمة شرك أو ارتداد، وإنما المعنى -والله
أعلم- أن
همّ
َة هذه الفئة انصرفت إلى حفظ علم الشرع وإيصاله للناس أكثر من انصرافها إلى العمل، ولم تكن كالفئة الأولى التي تفاعلت مع النصوص تفاعلاً حيًّا مباشرًا وهي تدرك أنها المخاطبة بها قبل غيرها.

أما العنصـر الثـالث فـي المثـل -وهـو الأرض القاع التي لا تمسك الماء فينتفـع النـاس بـه، ولا تنبت الكلأ والعشب-؛ فهي تقابل مـن لـم يحمـل العلم والحكمة، ولم يعمـل بهمـا، ولـه مـن الـذم بقدر ما فقد من ذلك الخير.

فإن كان عَريَ عـن الإيمـان والـدين بالكلِّيَّـة؛ فهو الكافر الذي يستحق الذم كلَّه، وهو الذي لـم يرفع بالإسلام رأسًا، ولم يقبـل هـدى اللـه الـذي أرسل به النبي صلى الله عليه وسلم.

وإن كان له نصيبٌ من الإسـلام؛ دون تحقُّـق بالإيمان، ولا اهتمـام بحمـل العلـم وتبليغـه؛ فهـو محمودٌ على ما أدرك، مذمومٌ على ما فرَّط.

وبهـــــــذا تكتمـــــــل الصـــــــورة، ويتـــــــبيَّن ارتباط الخصائص الثلاث بعضها ببعـض ارتباطًـا لا ينفكُّ: ارتباط العلم الحق -المبنـي علـى النـص والوحي- بعمل القلب وعمـل الجـوارح، وتضـافر هــذه الأركــان فــي تكــوين (خصــائص الفرقــة الناجية).

ولا يعني هذا أن الفرقة الناجية ملائكة في جثمان إنس! كلا؛ بل لقد كان الصحابة -وهم أعظم صور الفرقة الناجية وأكملها- بشرًا من البشر؛ يعتريهم ضعف البشر، ويحسون -أحيانًا- بثقلة الطين، وجاذبية الأرض، ولكنهم كانوا أفضل البشر -بعد الأنبياء-، حتى وهم يخطئون، إذ سرعان ما ينتفض الإيمان في قلب أحدهم، ويندفع اندفاع السيل إلى منحدره، فتنكسر أمام قوته سَوْرَةُ الشهوة، ويُصلْح الفردُ ما ساء من حاله، ويستدرك أمرَه، ويعرِّض نفسه لأشدِّ العقوبات الشرعية -إن كان قد قارف ما يوجبها-، وما قصة ماعز[122] والغامديّة[123] ببعيدة عن الأذهان.

وكـــــان مـــــن خـــــبر مـــــاعز مـــــا صـــح

َ عن عدد من الصحابة، منهم أبو هريرة رضي الله عنه حيث قال: أتى رسولَ اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم رجلٌ من الناس وهو في المسجد، فنـاداه: يا رسول الله! إني زنيت -يريـد نفسـه- فـأعرض عنـــه النـــبي صـــلى اللـــه عليـــه وســـلم، فتنحّ

َى لشِق وجهه الذي أعرض قِبَله، فقال: يا رسول الله! إني زنيت. فأعرض عنـه، فجـاء لشـق وجـه النبي صلى الله عليـه وسـلم الـذي أعـرض عنـه، فلما شهد على نفسه أربع شهادات؛ دعاه النبي صلى الله عليه وسلم، فقـال: " **أبك جنــون؟**". قال: لا يا رسول الله! قـال: "**أحصنتَ؟**". قـال: نعـــم يـــا رســـول اللـــه! قـــال: "**اذهبـــوا فارجموه**"[124].

وكـان مـن خـبر الغامديـة مـا رواه جمـع مـن الصحابة؛ منهم بريدة بن الحصيب الأسلمي رضي اللـه عنـه، قـال: فجـاءت الغامديـة، فقـالت: يـا رســـــول اللـــــه! إنـــــي قـــــد زنيـــــتُ، فطهّ
ـرنـــــــــــــــــــــي. وإنـــــــــــــــــــــه ردّ
َها، فلما كان الغد؛ قالت: يا رسول الله! لِمَ تردّ
ُنـــي؟ لعلّ
َـــك أن تردّ
َني كما رددتَ ماعزًا! فـوالله إنـي لحبلـى! قـال: "**أما لا، فاذهبي حـتى تلـدي**". فلمـا ولـدت؛ أتته بالصبي في خرقة، قالت: هذا قد ولدته. قال: "**اذهبي فأرضعيه حتى تفطميه**". فلما فطمته؛ أتته بالصبي في يده كسرة خبز، فقـالت: هذا - يا نبي الله! - قد فطمتُه، وقد أكل الطعام!

فدَفعَ الصبي إلى رجل من المسلمين، ثم أمرَ بها، فحُفر لها إلى صدرها، وأمر الناس فرجموها، فيُقبلُ خالد بن الوليد بحجر فرمى رأسها، فتنضح الدم على وجه خالد، فسبَّها، فسمع النبي صلى الله عليه وسلم سبَّه إياها، فقال: "**مهلاً يا خالد! فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مَكْس لغُفِر له**"، ثم أمرَ بها، فصُلِّى عليها، ودُفنت"[125].

■ الفرقة الناجية وأهـل الحـديث وأهـل السنة والجماعة:

روى الخطيـب البغـدادي بسـنده عـن الإمـام أحمد أنه ذكر حديث النبي صلى الله عليه وسـلم: "**تفـــــــــترق الأمـــــــــة علـــــــــى نَيّـِفٍ وسـبعين فرقـةً؛ كلهـا فـي النـار؛ إلا فرقة**"، فقال: "إن لم يكونوا أصـحاب الحـديث؛ فلا أدري مَن هُم"[126].

فهل يعني هذا -إن صحَّ عن الإمام أحمد- أنـه يعدُّ (أهل الحديث) هم الفرقة الناجية؟ ومن هـم أهل الحديث المقصودون بهذه الكلمة؟

أهل الحديث:

فأما أهل الحديث، أو أصحاب الحـديث؛ فـإن المقصـود بهـم كمـا قـال الحـاكم النيسـابوري: "القوم الذين سـلكوا محجَّـةَ الصـالحين، واتَّبعـوا آثار السـلف مـن الماضـين، ودمغـوا أهـل البـدع والمخالفين لسنن رسول الله صلى اللــه وسـلم عليه وعلى آله أجمعين...، وآثروا قطـع المفـاوز والقفار على التنعُّم في الدمن والأوطار، وتنعَّموا بالبؤس في الأسفار مع مساكنة العلم والأخبار... قـد رفضـوا الإلحـاد الـذي تتـوق إليـه النفـوس الشـهوانية، وتوابـع ذلـك مـن البـدع، والأهـواء، والمقاييس، والآراء، والزيغ..."[127].

ووصــفهم الخطيــب البغــدادي بــأنهم: "... حفظة الدين وخزنتُـه، وأوعيـةُ العلـم وحَمَلَتُـه... ومنهم كل عالم فقيه، وإمـام رفيـع نـبيه، وزاهـد في قبيلـة، ومخصـوص بفضـيلة، وقـارئ متقـن، وخطيــب محســن، وهــم الجمهــور العظيــم، وســبيلهم الســبيل المســتقيم، وكــل مبتــدع باعتقادهم يتظاهر وعلى الإفصاح بغيـر مـذاهبهم لا يتجاسر..."[128].

ووصفهم الإمام ابن قتيبة بأنهم: "التمسوا الحق من وجهته، وتتبّعوه من مظانه، وتقرّبوا من الله تعالى باتباعهم سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وطلبهم لآثاره وأخباره... ثم لم يزالوا في التنقير عن الأخبار، والبحث لها، حتى فهموا صحيحها وسقيمها، وناسخها ومنسوخها، وعرفوا من خالفها من الفقهاء إلى الرأي، فنبّهوا على ذلك، حتى نَجَمَ الحقُ بعد أن كان عافيًا، وبَسَقَ بعد أن كان دارسًا، واجتمع بعد أن كان متفرّقًا، وانقاد للسُنَن من كان عنها معرضًا، وتَنَبَّه عليها مَن كان عنها غافلاً، وحكم بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن كان يحكم بقول فلان وفلان

وإن كان فيه خلافٌ على رسول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم..."[129].

وإذا تأمَّلتَ هذه الأقوال وغيرها ممـا يشـبهُها أو يقاربُها[130]؛ وَجَـدْتَ أن لفـظ (أهـل الحـديث) كان يطلق في مقابل:

1- أهل الكلام الذين "يقولون على اللـه مـا لا يعلمـون، ويَفْتنـون النـاس بمـا يـأتون، ويُبْصـرون القذى في عيون الناس وعيونهم تطرف على الأجــذاع[131]، ويتَّهمــون غيرهــم فــي النقــل ولا يتهمون آراءهم في التأويل"[132].

والذين اختلفوا "فـي التوحيـد، وفـي صـفات الله تعالى، وفي قدرته، وفـي نعيـم أهـل الجنـة، وعذاب أهل النار، وعذاب الـبرزخ، وفـي اللـوح، وفي غير ذلك من الأمـور الـتي لا يعلمهـا نـبيٌ إلا بوحي من الله تعالى"[133].

وهؤلاء المتكلّمون المعتمدون على عقــولهم الملوَّثة بفلسفة اليونان الوثنيَّة لا يمكــن لهــم أن يدَّعوا أنهم كانوا على ما كـان عليـه النـبي صـلى الله عليه وسـلم وأصـحابه، ولا يمكـن أن يـدَّعي أحدٌ لهم ذلك، ولا يمكن أن يدَّعوا أنه يجب حمــل الكافة من المسلمين؛ من علماء وعامة، وشيوخ وأحداث، على فهم قوانينهم العقليَّـة، وأقيسـتهم المنطقيَّــة، الــتي لا يتَّفــق علــى معظمهــا منهــم اثنان، حتى قال الإمام ابن قتيبة ناعيًا عليهم:

"وقد كان يجب -مع ما يعونه من معرفة القياس وإعداد آلات النظر- ألا يختلفوا؛ كما لا يختلف الحُسَّاب والمُسَّاح والمهندسون؛ لأن آلتهم لا تدل إلا على عدد واحد، وإلاَّ على شكل واحد، وكما لا يختلف حُذَّاق الأطبّاء في الماء، وفي نبض العروق؛ لأن الأوائل قد وقفوهم من ذلك على أمر واحد، فما بالهم أكثر الناس اختلافًا؛ لا يجتمع اثنان من رؤسائهم على أمر واحد في الدين؟!"[134]!

"ولو أردنا أن ننتقل عن أصحاب الحديث، ونرغب عنهم إلى أصحاب الكلام... لخرجنا من اجتماع إلى تشتُّت، وعن نظام إلى تفرُّق، وعن أُنس إلى وَحْشَة، وعن اتفاق إلى اختلاف"[135].

ولو تصوَّرنا أن بعض رؤساء أصحاب الكلام قام بين ظهراني أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، وقرَّر الآراء والمقالات التي ينتحلها كما يقرِّرها في كتبه ومجالسه؛ ما ارتدَّ إليه طرفه إلا مع خروج نفسه.

2- كما يطلق لفظ (أهل الحديث) في مقابل (أهل الرأي)؛ ممَّن يقدِّمون آراءهم الضالَّة وأقيستهم الفاسدة على الكتاب والسنة، ويُعْمِلون في الرويات التي تخالف ما هم عليه معاولَ التضعيف والتأويل، حتى يقول قائلهم: "كل نصٍّ خالف مذهبنا فهو منسوخ أو مؤوَّل"[136].

ثم يأخذون بالحديث إذا وافقهم ولو كان ضعيفًا، ويبلغ بهم التعصب إلى حد أن يقول آخر منهم:

"ولا يجوز تقليد ما عدا المذاهب الأربعة، ولو وافق قول الصحابة، والحـديث الصـحيح، والآيـة، فالخارج عن المذاهب الأربعة ضالٌّ مضلٌّ، وربما أدَّاه ذلك إلى الكفر؛ لأن الأخـذ بظـواهر الكتـاب والسنة من أصول الكفر"[137]!

وهذه الأقوال وأمثالها تأتي على الإسلام من أصوله، إذ لا يمكن معرفة الحق من الباطــل، ولا الإسلام من الكفر؛ إلا مـن خلال النصـوص، فـإذا كان الأخذ بظواهر النصوص التي تدلُّ عليهـا فـي لغـة العـرب -دون تأويـل- مـن أصـول الكفـر... فماذا بقي من قيمة النص؟ اللهم إلا التعـب فـي صرفه وتأويله!

وإذا كان مصطلح (أهل الحـديث) يُطْلَـق فـي مقابل هذا وذاك؛ فإنه ينبغي فهمـه بصـورة أوسـع ممـا يوجـد عنـد كـثير مـن النـاس -فـي الأزمنـة المتـــأخرة- ممّـَن يطلقـون هـذه الكلمـة، ويقصـدون بهـا فئـة معيّنـــة ممّـَن يعنون بدراسة الحديث النبوي روايـة ودراية، أو روايـــــــــــــــــة فحســـــــــــــــب، أو ممّـَن ينتسـبون إلـى هـذا الأمـر ويجتمعـون عليـه نظريّـًا، ولو لم يكن لهم نصيبٌ يُذْكر من العلم بالحديث النبوي الشريف.

وينبغي التَّنبيه إلى تغيُّر المصـطلحات بمـرور الأزمنة، واختلاف مدلولها بين عصر وعصـر عنـد كثير من الناس.

وإذا كان الأئمة رحمهم الله يطلقون على أهل الحديث -في الماضي- أنهم الفرقة الناجية والطائفة المنصورة؛ فإن اصطلاح (أهل الحديث) قد ضاقت دائرته عند الكثيرين، حتى صار (عَلَمًا) على فئات قد تكون من أهل الحديث، ولكنها ليست أهل الحديث.

ولذلك لا يحسن إطلاق (الفرقة الناجية) على فئات محدَّدة تتسمَّى بأهل الحديث، وإن كانت هي -فعلاً- من أهل الحديث؛ بل ينبغي إعادة هذا الاصطلاح إلى مفهومه الواسع الصحيح -كما سيأتي-.

والأسباب التي تدعو إلى عدم إطلاق اسم (الفرقة الناجية) على فئة بعينها ممَّن يحمل اسم (أهل الحديث) أو ما شابهه هي:

أولاً: أنه يقتضي أن يكون غيرها من الفرق الهالكة، ولو كان موافقًا لها في منهجها ومعتقدها وأصولها، ما دام لا يحمل نفس الاسم الذي تحمله، ولا يجتمع حول الراية التي تجتمع حولها.

وهو على أحسن الأحوال قصرٌ للشيء علـى بعض أفراده.

وعلى سبيل المثـال: يوجـد فـي زماننـا هـذا فئات شتَّى تحمل أسماء عديدة، تختلف باختلاف البلدان؛ بل تختلف فـي البلـد الواحـد؛ بـل ويقـع بينها أحيانًا شيء من الشـحناء والاختلاف وتنـافر القلوب -كما يقع بين غيرها[138]-، ولكنها متقاربـة في منهجها، متفقة على الأصول التي تقوم عليها وتدعو إليها، وهـؤلاء يمثِّلـون فـي الجملة منهجًـا واحدًا -على ما بينَهم من تفاوت-، ولو ادَّعى مدَّع إطلاق لفظ (الفرقة الناجية) علـى بعضـهم دون بعـض، أو عليهـم دون غيرهـم مـن أهـل السـنة، العاملين بها، مهما اختلفت أسماؤهم؛ لَحَرم مـن هذه الميزة العظيمة فئات وطوائـفَ أخـرى فـي بقـاع شـتى مـن الأرض ممَّـن لا يحملـون هـذه الأسماء.

فالعــدل والإنصــاف يقتضــي أن لا تكــون (الفرقة الناجية) أشخاصًا محـدَّدة فحسـب؛ بـل خصائص وسمات ينبني عليها منهج يُتَّبَعُ، وطريـق يُسْلَك، وأصولٌ يُلْتزم بها، بحيث يكـون الموافـق لهذه الأصول، المتَّبع لهذا المنهج، المتحلِّي بهـذه الخصائص والسمات، ممَّـن يُرجـى دخـوله فيهـا؛ فردًا كان أو جماعة، وبأي اسم تسمَّى، مـا دام لا يدين ببدعة، ولا يتعمَّد مخالفة الكتاب والسنة.

أمـا الكلمـة السـابقة المنسـوبة إلـى الإمـام أحمـد؛ فعلـى تقـدير ثبوتهـا؛ فـإنه يُقصـد بهـذا الاصـطلاح -(أهـل الحـديث)-: القـومُ الـدائنون بالمعتقد الذي كان عليه النـبي صـلى اللـه عليـه وســلم وأصــحابه، الملــتزمون بالنصــوص، المجانبون لطرائق أهـل الكلام، التـابعون للحـق والدليل متى استبان لهم -ولو كان على خلاف ما عهـدوه، وورثـوه، وتعلَّمـوه-، فيـدخل فـي هـذا المعنى فئات كثيرة من جنس مَـن ذكـر، ويـدخل فيه غيرهم؛ مثل:

أ- أتباع المذاهب الفقهيَّة الأربعة وغيرها من مذاهب أهل السنة، إذا كانوا على المعتقد الصحيح؛ غير مؤوِّلين، ولا محرِّفين، ولا مبدِّلين، ولا مشبِّهين، وإذا كانوا ممَّن إذا عرف الدليل الصحيح الواضح؛ ذهب إليه، وقال به، ولو كان خلاف ما عليه المذهب.

ب- بعض عوامِّ المسلمين الذين لم يدخلوا في شيء من البدع والانحرافات، وآمنوا بالله وأسمائه وصفاته، وأقرُّوا بالتوحيد، وجانبوا الشرك، والتزموا -عمومًا- بالسلوك الصحيح: من الاستقامة، وأكل الحلال، وترك الفواحش، وغير ذلك.

ولا يلزم أن يكونوا عالمين باختلاف الناس في العقائد وغيرها، ولا أن يدرسوا الأصول والضوابط التي يقوم عليها المنهج الصحيح؛ بل يكفي سلامة معتقدهم -جملةً-، وهذا ما يفهمونه من سماعهم للآيات والأحاديث بفطرتهم، ما لم يطرأ على هذه الفطرة مؤثِّرٌ يغيرها، أو صارف يصرفها.

ولذلك قال القاضي عياض: "إنما أراد أحمد: أهل السنة والجماعة، ومَـن يعتقـد مـذهب أهـل الحديث"[139].

ثانيًا: وممَّا يمنع قصر الفرقة الناجيـة علـى المنسـوبين إلـى الحـديث -فحسـب- فـي الأزمنة المتأخرة -حين ضـاق الاصـطلاح وتغيَّـر-: أن الخير والفضـل قـد قـلَّ فـي هـذه الأمـة بعـد القـرون الثلاثة الفاضلة، وتفرَّق، حتى عزَّ وجـود الأفراد المستجمعين للصفات الفرديَّة التي كـان عليها السلف الأولون، وحـتى لا تكـاد توجـد فئـة مسـتجمعة للصـفات الجماعيـة والفرديـة الـتي كانوا عليها، أو لا توجد ألبتة، فالخير -فـي الأمـة- موجودٌ، ولكنه لا يخلو من دَخَن.

وهذه الفئات التي ترى أنها أحقُّ بالنبي صلى الله عليه وسـلم، وأجـدرُ بوصـف (النجـاة) فيهـا عيوبٌ وأخطاء، وفيها خللٌ وتقصير -حتمًا-، وفـي غيرها فضائل لا توجد فيها - قليلة كانت أو كـثيرة -.

وإذا كان من المتوقَّـع أن يكـون التجـرُّد فـي هذا الزمان قليلاً؛ فيجب أن نتوقع -لذلك- أن ثمَّة عيوبًـا فـي هـؤلاء سـتتحوَّل -فـي نظرهـم- إلـى محاسـن، وفروعًـا سـتتحول إلـى أصـول؛ لأنهـا صارت خصائص لهم تميِّزهم عن غيرهم، ويجـب أن نتوقـع أن ثمـة جـوانب مشـرقة عنـد غيرهـم ستلقى منهم الصـدود والإعـراض والتهـوين مـن شأنها؛ لأنها اقترنت -عندهم- بفئة عيوبها كـثيرة، وأخطاؤها فاحشة.

وعلى سبيل المثال: فإن من المـألوف لـدى الحريصين على اتِّباع السنة فـي هـذا الزمـان أن يعتنـوا بـالجوانب العلميـة -والحديثيَّـة خاصَّـة-، ويحرصوا على تجنُّـب التقليـد ومحاربـة المحـرَّم منه، ويهتمُّوا بسلامة المعتقد.

وهذه الجـوانب الإيجابيـة قـد يسـيء بعضـهم أخـــــــــــــــــــــــــــــــــذها، فيتحـــــــــــــــــــــــــــــــــو َل جانب العناية بالحديث ونبذ التقليد إلى فوضــى تشريعية لا أول لها ولا آخر، ويصبح مَـن لا يحسـن قـــــــراءة الآيــــــة، ولا نطـــــــق الحـــــــديث -ممّ َن يستظل بظل القـوم- (مجتهـدًا)، لا يعبـأ بقـول أحمــد ولا مالــك ولا الشــافعي ولا أبــي حنيفــة، ويزعم أنه سيأخذ من حيث أخذوا!

وقد يتطور الأمـر إلـى (الاجتهـاد) فـي أمـور العقائد؛ بناء على تصحيح حديث، أو تضعيف آخر، أو فهـم لظـاهر نـصٍّ، أو نحـو ذلـك... وهنـا يقـع الخطر الكبير، حيث تتحوَّل الفوضى إلى الأصول بعد الفروع.

ثم تجد هذا المحارب للتقليد، النابز لأهله، مقلدًا -من حيث لا يشعر- لفلان وفلان من العلماء وطلاب العلم الذين يُحْسِن الظن بهم، ويرى أنهم على الجادَّة، وأنهم لا يخرجون عن الدَّليل الصحيح، ولا يقولون إلا ببيِّنة! وتراه مقلدًا لهم في تصحيح الأحاديث وتضعيفها، وتوثيق الرجال وتوهينهم، ومقلِّدًا لهم في آرائهم الفقهية والاجتهادية التي يُعْذَرون -هم- فيها لو أخطؤوا، لكنه -هو- لا يُعْذَر حين ينازع في تقليد الأئمَّة الأربعة وغيرهم، ويقلِّد مَن دونهم بمراحل.

ويترتَّب على هذا وهذا: الاختلاف الواسع العريض، والتفرُّق الممقوت المنافي للأخوَّة والجماعة؛ بسبب تفاوت النظر والعلم، وما ترتَّب عليه من اختلاف الرأي، وهذا الاختلاف من سمات أهل البدع الذين فرَّقوا دينَهم وكانوا شيعًا.

وقد تتحوَّل العناية بسلامة المعتقد إلى رمي للآخرين بالضلال، أو الكفر، أو النفاق، أو الفسق، أو البدعة؛ بلا بيِّنة، مع ظنٍّ اختصاص النفس بالكمال، والسلامة مما وقع فيه الآخرون.

حتى لقد وُجد من يومئ إلى اختصاصه بمسمى (الفرقة الناجية) و(الطائفة المنصورة)، ويقول: إن الطائفة تصدق على الواحد!

وقد يتحوَّل الحرص على السنة وكراهية البدعة إلى إعراض عن منجزات العصر ومبتكراته النافعة، وعزوف عن استخدامها والإفادة منها في نشر دعوة الإسلام، وإلى تضخيم بعض الأعمال والسنن والمأثورات، حتى تصبح كأنها من الأصول، وإلى التهوين من شأن بعض الأصول المتَّفق عليها بين سائر الطوائف، حتى تصبح كأنها من الفروع.

وهذه الانحرافات وغيرها، وإن كانت لا تعكّر على الأصل عند العقلاء المنصفين، فلا تمنع البحث والتحقيق العلمي، ولا تمنع الاجتهاد وترك التقليد كلّيًا أو جزئيًا -بحسب ملكة المجتهد-، ولا تمنع محاربة البدع ونشر السنن؛ إلا أنها قد تصبح -بدون وعي- مدرَجة ضمن خصائص (الفرقة الناجية) عند هؤلاء القوم، فإذا رأوا مَن ينكرها، أو يعمل خلافها، أو ينتقدها؛ أساؤوا به الظن، واعتقدوا أنه يحارب العلم، والسنة، والحديث.

ولو أنصفوا؛ لعلموا أن (الفرقة الناجية) هي: منهج، ومشرع، وصفات، وخصائص، وليست اسمًا ينتحل، ولا دعوى تدعى.

وفي مقابل ذلك: يوجد عند كثير من طوائف المسلمين -المقصرة أو الواقعة في بعض الانحرافات العقدية أو السلوكية- جوانب مفيدة -وإن لم تكن متكاملة- لا توجد لدى أولئك القوم، فحصر الفرقة الناجية فيهم قد يُفْهَم منه أن تلك الفضائل والصفات ليست من خصائص الفرقة الناجية؛ بل من خصائص المنحرفين، وبهذا تقع فيما وقع فيه أهل الكتاب الذين كان من أسباب اختلافهم أنهم نسوا حظًّا ممَّا ذُكِّروا به؛ كما قال تعالى: **(وَمنَ الَّذينَ قَالُوا إنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا ميثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا ممَّا ذُكِّرُوا به فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إلى يَوْم الْقيَامَة)**[140].

ومن أمثلة ذلك: أن الجوانب العبادية والسلوكية قد ترتبط أحيانًا في أذهان كثير من الناس بالاتجاهات الصوفيَّة أو المتأثِّرة بالصوفية، فتصبح العناية بها، والاحتفال بشأنها، والحديث عنها، شيئًا غريبًا غير مألوف في بعض البيئات والتجمُّعات الأثرية المحاربة للتصوُّف.

ومثل ذلك العناية بالجوانب السياسية، والتّركيز عليها، والحرص على معرفة كيفية سير الأحداث، وارتباط بعضها ببعض، وكشف ألاعيب طواغيت الدنيا ضد الشعوب -وخاصة الشعوب المسلمة-، والحديث عن الحكم بغير ما أنزل الله، وموالاة أعداء الله... كل هذا قد يرتبط في أذهان كثير من الناس ببعض التجمّعات التي لا يُعرَف عنها العناية بالسنة، والاهتمام بتصحيح العقيدة، ومن ثم يصبح الحديث عنها غير مألوف ولا مقبول -عند بعض من يهتمّون بالسنة والعقيدة-؛ لأنه صار شعارًا لأولئك وخاصية من خصائصهم.

ولهذا كله -ولغيره- يترجَّح القول بأن (الفرقة الناجية) خصائص وصفات وأصول، مَن تمسك بها -فردًا أو جماعة-؛ فيرجى أن يكون من الناجين، ومَن أعرض عنها؛ فيُخشى أن يكون من الهالكين.

ويرجى لكل مسلم -فردًا أو جماعة- من النجاة بقدر قربه من تلك الصفات، وتحقُّقه بها، ويُخاف عليه من الهلاك بقدر تقصيره، أو ضعفه، أو إخلاله بها.

ويتفاوت الناس تفاوتًا عظيمًا في قَدْر تحقيقهم للصفات، أو قربهم منها، أو بعدهم عنها، ولكل قوم بحسبهم، وليس من اللازم أن يصبح اسم (الفرقة الناجية) لفظًا صوريًّا تتنازعه بعض التجمعات وبعض الطوائف، وتحرم غيرها منه بلا برهان جليٍّ صريح.

وهذا يعطي لـ (الفرقة الناجية) مفهومًا أوسع، ويجمع قدرًا كبيرًا من الآراء التي يوجد بينها قاسم مشترك، وليس بينها خلافٌ عميقٌ.

وإذا كـان الأئمَّـة السـابقون يعـدُّون الفرقـة الناجية أهـل الحـديث -لسـعة هـذا الاصـطلاح وشـموله فـي وقتهـم-؛ فـإنه ينبغـي أن يوسـع مفهوم هذا المصطلح، ويُعـاد إلـى مـا كـان عليـه في السابق، بحيث يصبح مشابهًا لمصطلح (أهـل السنة والجماعة)، أمـا أن يطلـق علـى تجمُّعـات معيَّنة من أهل السنة، سمَّت نفسها أهل الحديث -أصلاً-، ويُقْصَر عن غيرها ممَّن هـو علـى طريـق أهل الحديث والسنة سائر، ولأهل البدع والأهواء مخالف؛ فهو قصرٌ للعامِّ على بعض أفـراده بغيـر دليل.

أهل السنة والجماعة:

والمراد بـ(السنة): "طريقة النـبي صـلى اللـه عليه وسلم التي كان عليها هو وأصحابه، السـالمة من الشبهات والشهوات... ثـم صـار -فـي عـرف كـثير مـن العلمـاء المتـأخرين مـن أهـل الحـديث وغيرهـــــــــــــــم- عبـــــــــــــارة عمّـَا سلم من الشبهات في الاعتقادات، وخاصـة فـي مسائل الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخــر، وكــذلك فــي مســائل القــدر، وفضــائل الصحابة..."[141].

و(أهل السـنة) هـم أهـل الإسـلام والتوحيـد، المتمسِّكون بالسنن الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في العقائد، والنِّحَـل، والعبـادات الباطنة والظاهرة، الذين لم يشوبوها ببـدع أهـل الأهـــواء وأهـــل الكلام فـــي أبـــواب العلـــم والاعتقادات، ولم يخرجوا عنها فـي بـاب العمـل والإرادات...

فإن السنة في الأصل تقع على ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما سَنَّه أو أمر به من أصول الدين وفروعه، حتى الهَدْي والسمت..."[142].

وهذا التعريف لأهل السنة، يلتقي مع ما سبق في تعريف (أهل الحديث).

ولذلك قال الإمام ابن حزم[143]: "وأهل السنة الذين نذكرهم أهل الحق، ومَن عداهم فأهل البدعة؛ فإنهم الصحابة رضي الله عنهم، وكلُّ مَن سَلَكَ نهجهم من خيار التابعين رحمهم الله تعالى، ثم أصحاب الحديث، ومَن اتَّبعهم من الفقهاء، جيلاً فجيلاً إلى يومنا هذا، ومَن اقتدى بهم من العوامِّ في شرق الأرض وغربها..."[144].

ومثله قول الإمام أبي المظفر الإسفراييني[145]: "... وليس في فرق الأمة أكثر متابعة لأخبار الرسول صلى الله عليه وسلم، وأكثر تبعًا لسنّته من هؤلاء، ولهذا سموا أصحاب الحديث، وسموا بأهل السنة والجماعة..."[146].

وبهـــــــــــــــــــــــــــــــــــذا يتّضح أن مفهوم (أهل الحـديث) عنـد سـلف الأمـة يرادف مفهوم (أهل السنة والجماعة) مـن حيـث المعنى الأصلي الذي تـدور حـوله التسـمية، وهـو الالـــتزام بـــالنص -بـــالقرآن والحـــديث-، ومـــا دلّ عليه من الحق، والاجتماع على ذلك، ونبذ الأهواء والبدع والخلاف والفرقة.

أمـــا المفهـــوم الخـــاص لاصـــطلاح (أهـــل الحديث)، والذي يطلـق -عنـد المتـأخرين- علـى مدرسة فقهيَّة لها أصـولها ومآخـذها ومطلقاتهـا؛ فليس هو المراد بأقوال الأئمة، ولا يمكـن حصـر الفرقة الناجية فيه -بحال-.

غربة الفرقة الناجية:

إن مـا انتهـى إليـه البحـث مـن الحكـم علـى جملة الطوائف والفرق الهالكة بأنهـا داخلـة فـي اسم الإسلام -من حيث الأصل، وإن كان قد يبلـغ الانحراف ببعضها إلى حد الكفر-، وما انتهى إليــه من توسيع مفهوم أهل الحديث؛ ليشمل طوائـف عديدة، وأفرادًا كثيرين، قد لا يتناولهم الاصـطلاح لأول وهلــة؛ إن هــذا وذاك لا يعنــي أن (الفرقــة الناجية) قد صارت هي جمهور المسلمين -علــى مدار الزمان-، وخفت عنها حـدة الغربـة كمـا قـد يتبادر إلى الأذهان.

كلا؛ فالفرقة الناجيـة هـي فرقـة واحـدة مـن بين ثلاث وسبعين فرقة، وكفى بهذه غربة!

وكـــــون الفـــــرق المنحرفـــــة حولهـــــا ممّ
َن لا يُحْكم عليهـم جميعًـا بـالخروج عـن الـدين لا يعني أنها لم تعد غريبة بينهم.

بل إنها قد تُعاني من المنسوبين إلـى الـدين، والمحسوبين عليه؛ أشد ممَّـا تُعـاني مـن الكفـار الظاهرين المعلنين.

وَظُلْـمُ ذوي القُرْبَى أَشَدُّ مَضَـاضَةً

عَلــى المَــرْءِ مِــنْ وَقْــعِ
الحُسامِ المُهَنَّدِ

والدَّليل على هذا أننا نجد -في أحيان كـثيرة- أن أعـداء الإسـلام يسـعَون إلـى هـدم حصـون المسـلمين مـن داخلهـا بواسـطة المنـافقين المتظاهرين بالإسلام، ولقد كان كثير من زعمـاء النحل الضالة، وأصحاب المقـالات الزائغـة، مـن هذا النوع.

وما ذاك إلا لإدراكهم أن العدوَّ البعيد الظـاهر يسـهل التحـرُّز منـه، وتوقُّـع كيـده، أمـا العـدو الملابس في الدين والبلد، المتظاهر بالموافقـة؛ فممَّـا لا يتيسَّـر الحـذر منـه، ولا تعريـف النـاس بمقاصده.

فأهل الفرقة الناجية يجدون من هـؤلاء ومـن غيرهـم ممَّـن ليـس علـى طريقتهـم مـن الكيـد والحرب والسخرية ما يجعلهم في غربة حقيقية.

وكلمـا تقـادم العهـد، وفَشـَت الانحرافـات؛ ازدادت غربتهم، واستحكمت، حـتى ليكونـون فـي بعض الأزمنة وفي بعض الأمكنة أفرادًا يُشار إليهـم بالأصابع.

وعُربتهم غربة محمودة، و"هم أهل الله حقًّا؛ فإنهم لم يأووا إلى غيره، ولم ينتسبوا إلى غير رسوله صلى الله عليه وسلم، ولم يدعوا إلى غير ما جاء به، وهم الذين فارقوا الناس أحوج ما كانوا إليهم، فإذا انطلق الناس يوم القيامة مع آلهتهم؛ بقوا في مكانهم، فيقال لهم: ألا تنطلقون حيث أنطلق الناس؟ فيقولون: "فارقنا الناس ونحن أحوج إليهم منَّا اليوم، وإنَّا ننتظر ربَّنا الذي كنا نعبده"[147].

"فهذه الغربة لا وحشة على صاحبها؛ بل هو آنس ما يكون إذا استوحش الناس، وأشدُّ ما تكون وحشته إذا استأنسوا، فوليه الله ورسوله والذين آمنوا، وإن عاداه أكثر الناس وجفوه"[148].

وهؤلاء الغرباء "هم القابضون على الجمر[149] حقًّا، وأكثر الناس -بل كلهم- لائمٌ لهم، فلغربتهم بين هذا الخلق يعدُّونهم أهل شذوذ، وبدعة، ومفارقة للسواد الأعظم"[150]!

"وكيـف لا تكـون فرقـة واحـدة قليلـة جـدًّا، غريبــة بيــن اثنــتين وســبعين فرقــة ذات أتبــاع ورئاسات، ومناصب وولايات، ولا يقوم لها ســوق إلا بمخالفة ما جاء به الرســول صــلى اللــه عليــه وسلم"[151].

إن الفرقـة الناجيـة غريبـة بـالنظر إلـى كـثرة الفرق المخالفة لها، وأفرادها غرباء بالنظر إلى كثرة المنحرفين والهالكين، ولهذه الغربـة أسـباب عديدة؛ منها:

1- كثرة الأقاويل والمعتقدات والآراء المخالفة للكتاب والسنة، وكثرة الدُعاة إلى تلك الآراء والمعتقدات والأقاويل، فيلتبس على كثير من الناس الحقُ بالباطل، والسنةُ بالبدعة، ويصبح كثير منهم يتّبَعون البدعة يظنّونها سنة، ويحاربون السنة يظنّونها بدعة، فيغدو المؤمن المتّبَع للسنة، السائر على البيّنة الربّانية، غريبًا بينهم؛ لاتّباعه وبدعتهم، وعلمه وجهالتهم،

وقلّ
َته وكثرتهم، وتعظم الغربة حين تصبح هـذه الآراء المبتَدَعَة والعقائد المنحرفة دينًا َيدين به الكبراء؛ مـن السـلاطين، والرؤسـاء، والمنسـوبين إلـى العلـم والشـرع، فيُطْبِـقُ علـى العامـة الجهـلُ بالسنة، والإنكار على أهلها، وما يزالون يتوارثـون ذلك، يتواصَوْن به، حتى يصـبحَ عُرفًـا جاريًـا، مَـن خـالفه؛ تعـر
َض للسـبّ
َ،
والتّ
َنقيـص، والزرايـة، والاتّ
ِهام.

2- اتِّباع الهوى، وانتشار العصبيَّة للمذاهب والآراء، حتى ليصبح الداعي إلى السنة كأنه يدعوهم -فيما يحسبون ويظنُّون- إلى اتباعه، وترك أشياخهم ومقدَّميهم، وليس يدعوهم إلى اتِّباع السنة وهجر البدعة، فتتحرَّك في النفوس العصبيَّة للشيخ والمذهب والطريقة، وتمنع كثيرًا من الناس من سماع الحق -أصلاً- فضلاً عن اتِّباعه.

وكم حالَ الهوى دون اتِّباع النصِّ المحكم المنزل، وأضلَّ عن سبيل الله! قال تعالى: **(يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الهوى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ الله)**[152].

3- قلة الإنصاف بين الناس، وضعف الخوف من الله، مما يجعل بعضهم يحمل على المخالف، ويجلب عليه بخيله ورَجِلِه، وينسب إليه كلَّ نقيصة، ويَجْحَدُ ما يعلم فيه من الفضل، ويفرِّع على أقواله فروعًا ليست صحيحة؛ ابتغاء تنفير الناس عنه، وعن منهجه:

فإذا كـان هـذا المخـالف لهـم متَّبعًـا للكتـاب والسـنة، وأنكـر مـا عليـه مُـدَّعو التصـوُّف مـن الأحـوال المنافيـة للشـرع؛ نسـبوه إلـى معـاداة أولياء الله، وحربهم وبغضهم.

وإذا أنكـر مـا عليـه السـلاطين مـن مخالفـة الشــرع، أو اتِّبــاع المناهــج الوضــعية، أو ظلــم الرعية، أو مـوالاة أعـداء الـدين؛ رُمـيَ بـأنه مـن الخوارج المارقين، والبغاة الضالين.

وإذا أنكر ما عليه العوام من البدع والعوائـد والمحدثات التي قامَت فيهم مقامَ العُـرْف الـذي يتوارثـونه خلفًـا عـن سـلف؛ رُمـيَ بـأنه متشـدِّد متنطِّعٌ ملزمٌ الناسَ بالحرج في دينهم.

ليس هذا فحسب؛ بل إن كثيرًا من النــاس لا يجــدون حرجًــا مــن اخــتراع الأقاويــل، وتزويــر الحكايـات الـتي ليـس لهـا أصـل، وترويجهـا بيـن الناس؛ لصدهم عن دعاة الحق والخير والسنة.

وإنه لأمر صعب أن يصبح الداعي إلى منهج الفرقة الناجية، وإلى ما كان عليه الرسـول صـلى الله عليـه وسـلم وأصـحابه، وإلـى اتِّبـاع الكتـاب والسنة، متَّهمًا بيـن النـاس، تشـير إليـه الأصـابع بالرِّيبة، وتتناوله الألسنة بالبهتان.

4- ويستحكم طوق الغربة حول متبعي السنة إذا كانت الدولة لأهل البدع، والتفَّ حول السلطان علماء السوء الذين يزيِّنون له الباطل، ويأمرونه به، ويبغضون له الحق، ويَنْهَوْنَه عنه، حتى يُشرَب قلبُه حبَّ البدعة وأهلها، وبغضَ السنة وأهلها، فيُوَلِّي أهل البدع، ويستعملهم، ويقرِّبهم، ويستنصح لهم، فيحمل هؤلاء الناس على بدعتهم وضلالهم، ويمكِّنون لمَن كان على مثل حالهم، ويضيِّقون على أهل السنة، وقد يخيفونهم ويفتنونهم؛ كما حدث للإمام أحمد، وابن تيمية، وغيرهما.

ومثل ذلك أن تكون الدولة لأهل الإلحاد والكفر بالله من منتحلي المذاهب الوضعية البشرية؛ كالعلمانية[153] وغيرها؛ فإن هؤلاء لا يرضون أن يكون للدين موقعٌ في المجتمع، ولا أن يكون لأهله مكانةٌ بين الناس، ويعدُّون تحكيم الشرع في الأنفس، والأموال، والأعراض، والدماء، وسائر شؤون الحياة، نوعًا من الزج بالدين في أمور لا علاقة له بها أصلاً، إذ الدين -في عقدهم- علاقة بين الخالق والمخلوق، تقتصر على أداء شعائر معيَّنة في المسجد، أو الكنيسة، وينتهي الأمر عند هذا الحد.

وهؤلاء -وإن كانوا حربًا على الدين كلـه- إلا أن حربهـــــم لأهـــــل الســـــنة والأثـــــر أشـــد ُ، وعداوتهم لهم أعظـم، لأنهـم يجـدون كـثيرًا مـن أهل البدع يوافقونهم فيما يريدون من عَزْل الـدين عن الحياة؛ كما هو منهج الطرق الصوفية -مثلاً-.

فهـذه الأسـباب -وغيرهـا- تضـاعف غربـة (الفرقة الناجية) -سـواء مـن الناحيـة الفرديـة أو الجماعيـة-، وتحيطهـا بنـوع خـاص مـن الغربـة، يضاف إلى الغربة العامَّة الشاملة الـتي تواجههـا هــذه الفرقــة لأنهــا فئــة مــن المســلمين، والمســـلمون بيـــن أهـــل الأرض غربـــاء، وللمستقيمين علـى الجـادة، السـالكين الطريـق المستقيم، من هذه الغربة أوفاها وأكملها.

فالفرقة الناجية تعيش غربة المسـلمين بيـن أهل الملـل والأديـان الأخـرى فـي سـائر أقطـار الأرض، وتعيش غربتها الخاصـة بيـن المسـلمين، والتي تُحْكِم خيوطَها أيدي المسلمين أنفسهم!

ومع ذلك؛ فهذه الفرقة مطالبة بالقيـام بـأمر الله، ونشر دينه ودعوته، والصَّدْع بما لـديهم مـن علم وفهم، ومعالجة لهذه الغربة، والقيام بتجديد الدين بين المسلمين، وإقامـة الحُجَّـة علـى أهـل العصر، وعدم الاستسلام لليأس، أو الرُّكون إلـى الدَّعة، ويتولَّى عظم هذا الأمـر وجملتـه الطائفـة المنصـورة -كمـا سـيأتي-، وهـي مـن الفرقـة الناجية.

فوصفهم بالغربة ليس حثًّا على الاعتزال، ولا أمرًا بالقعود؛ بل هو دعوة إلى التميُّز بالمنهج المستقيم، والصبر عليه، وإعلانه، والدعوة إليه، والاجتماع حوله، إذ إن ذلك كله من أسباب اندفاع الغربة وزوالها، ومن أسباب الاستمساك بالحق الذي يحمله المغترب، فالمضحِّي في سبيل شيء ما يعزُّ عليه أن يتخلَّى عنه، وحين يكون هذا الشيء هو الحق؛ يكون ذلك من سعادة المسلم وتوفيقه.

وإذا كان الشعور بالغربة، وكثرة المخالفين والمناوئين، شعورًا صحيحًا لدى الفرقة الناجية، بحيث لا يَعيبهُم نبزُ الناس لهم بالشذوذ، واتّهامهم بتفريق الصفوف؛ فإنه يجب التفريق بين هذا وبين الشعور المنحرف الذي يتعاظم ويشتد لدى بعض الغلاة، الذين لا يجدون مَن يوافقهُم فى غلوِّهم وانحرافهم، فيُعَزُّون أنفسهم بأنهم يعيشون زمن غربة الإسلام، فيزيدهم هذا تمسكًا بما هم عليه، وإعراضًا عن المراجعة، وتصحيح المنهج، واتهام النفس.

والفيصل فـي هـذا هـو النـص المحكـم الـذي يجب الرجوع إليه فيما يشتجر بين المسلمين من الخصومة، وفهمُ السلف الصالح لهـذا النـص مـن الصحابة ومَن بعدهم من أئمة المسلمين، والأئمة والعلمـــــــــاء العـــــــــاملين المعاصـــــــــرين ممّـــن عُـــرف بـــالتزام الســـنة، ومجانبـــة البدعـــة، والإعـــــــــــــــــراض عـــــــــــــــــن الـــد ُنيا ومطامعها، وهم أهل الذكر الذين أقـامهم اللـه حجة على عباده.

فليس كل مَن شعر بالغربـة وادَّعاهـا صـادقًا موفَّقًا مهتديًا.

ولقد كـان الخـوارج -حيـن ظهـورهم- غربـاء بين الصحابة والتابعين، وما زالوا كذلك إلـى يـوم الناس هذا، وغربتهـم هـذه غربـة مذمومـة، غيـر محمودة؛ لما فيها مـن مفارقـة الجماعـة، وتـرك السـبيل والسـنة، والاعتـداد بـالنفس، وتحمُّـل مخالفـة الأئمـة الأفـذاذ المشـهود لهـم بـالعلم والصلاح.

والله المستعان.

الهــوامش

[1] (1) الحشر: 18.

[2] (2) الأحزاب: 22.

[3] (3) وذلك في الفصل الثاني من هذا الكتاب.

[4] (4) رواه: أبو داود في: 34- كتاب السنة، 1- بـاب شـرح السـنة، (رقم 4596)، (5/4)، وهذا لفظه.

- والترمذي في: 41- كتاب الإيمان، 18- باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، (رقم 2640)، (5/25)، وقال: "... حديث حسن صحيح".

- وابن ماجه في: 36- كتاب الفتن، 17- باب افتراق الأمم، (رقم 3991)، (2/1321).

- والإمام أحمد في "المسند": (2/332)؛ دون ذكر النصارى.

- والحاكم في "مستدركه" فـي: كتـاب الإيمـان، (1/61)، وقـال: "هذا حديث كثر في الأصول...".

وفي: كتـاب العلـم، (1/128)، وقـال: " هـذا حـديث صـحيح علـى شرط مسلم، ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي.

- وابن حبان؛ كما في "الموارد": 31- كتاب الفتن، 4- باب افتراق الأمم، (رقم 1834)، (ص 454).

- وأبو يعلى الموصلي في "المسند": مسـند أبـي هريـرة (ل: 541-542).

- وابن أبي عاصم في كتاب "السنة": 19- باب فيما أخـبر بـه النـبي صلى الله عليه وسلم أن أمته ستفترق، (رقم 66)، (1/33).

- والمروزي في "السنة": (ص 17).

- وابن بطة في "الإبانة الكبرى": باب ذكر افتراق الأمم في دينهـا، وعلى كم تفترق الأمة؟ (رقم 252)، (1/228).

- والآجُري في "الشريعة": باب ذكر افتراق الأمم، (ص 15).

ومدارهم جميعًا على: محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة.

ومحمد بن عمرو: هو ابن علقمة بن وقاص الليثي: قال أبو حاتم: "صالح الحديث، يكتب حديثه، وهو شيخ"، وقال النسائي: "ليس به بأس"، وقال مرة: "ثقة"، وتكلم فيه ابن معين، والجوزجاني، وقال الذهبي: "شيخ مشهور حسن الحديث"، وقال ابن حجر: "صدوق، له أوهام".

انظر: "التهذيب" (9/375)، "الجرح والتعديل" (8/31)، "الميزان" (3/673)، "التقريب" (2/196).

أما أبو سلمة؛ فهو ابن عبد الرحمن بن عوف، ثقة مكثر.

انظر: "التهذيب" (12/115)، "التقريب" (2/430).

فالحديث -بهذا الإسناد- حسن؛ لحال محمد بن عمرو، ولكنه صحيح لشواهده، وقد صححه: الترمذي، والحاكم، وابن حبان -وسبقوا-، وصححه أيضًا: الشاطبي في "الاعتصام" (2/189)، والسيوطي في "الجامع الصغير" (2/20 - المطبوع مع فيض القدير).

5 (5) الكَلَب -بالتحريك- هو داء يعرض للإنسان من عض الكَلْب الكَلِب، فيصيبه شبه الجنون، وتعرض له أعراض رديئة، ولا يشرب الماء حتى يموت عطشًا.

هكذا ذكر صاحب "النهاية"(4/195)، وغيره.

6 (6) رواه: أبو داود في: 34- كتاب السنة، 1- باب شرح السنة، (رقم 4597)، (5/5).

- والدارمي في: 16- كتاب الجهاد، 75- باب في افتراق هذه الأمة، (رقم 2521)، (2/158).

- والإمام أحمد في "المسند": (4/102)، وهذا لفظه.

- والحاكم في "مستدركه" في: كتاب العلم، وقال بعد سياقه وسياق حديث أبي هريرة: "هذه أسانيد تقام بها الحجة في تصحيح هذا الحديث"، ووافقه الذهبي (1/128).

- والآجري في"الشريعة": باب ذكر افتراق الأمم، (ص 18).

- وابن أبي عاصم في "السنة": 1- ذكر الأهواء المذمومة، (رقم 1و 2)، (1/7).

وفي: 19- باب فيما أخبر به النبي عليه السلام أن أمته ستفترق، (رقم 65)، (1/33).

- والمروزي في "السنة": (ص 14و 15)، بإسنادين، في أولهما زيادة بعد قوله: "وهي الجماعة"؛ قال: "فاعتصموا بها، فاعتصموا بها"، وليس فيها ذكر الأهواء.

- واللالكائي في" شرح أصول الاعتقاد": سياق ما روي عن النبى صلى الله عليه وسلم في الحث على اتباع الجماعة، (رقم 150)، (1/101).

- وابن بطة في "الإبانة الكبرى": باب ذكر افتراق الأمم في دينهم، (رقم 245)، (1/221)، و(رقم 247)، (1/223).

- وقوَّام السنة الأصبهاني في كتاب "الحجة في بيان المحجة": فصل في ذكر الأهواء المذمومة، القسم الأول، (رقم 107)، (ص 177).

- ومدارهم جميعاً على صفوان بن عمرو، قال: حدثني أزهر بن عبد الله الحرازي، عن أبي عامر الهوزني، عن معاوية.

- وصفوان بن عمرو: هو ابن هرم السكسكي، وثَّقه العجلي، ودحيم، وأبو حاتم، والنسائي، وابن سعد، وابن المبارك، وغيرهم، وقال الذهبي: "وثقوه"، وقال ابن حجر:"ثقة".

- انظر: "تهذيب التهذيب" (4/428)، "الجرح والتعديل" (4/422)، "التقريب" (1/368)، "الكاشف" (2/27).
- وأزهر بن عبد الله الحرازي: وثقه العجلي، وابن حبان، وقال الذهبي:"تابعي حسن الحديث، لكنه ناصبيٌّ ينال من علي –رضي الله عنه-"، وقال في "المغني":"صدوق"، وقال ابن حجر:"صدوق تكلَّموا فيه للنصب".
- انظر: "الميزان" (1/173)، "التقريب" (1/52)، "ثقات العجلي" (ص 59)، "الثقات" لابن حبان (4/38)، "المغني" (1/65).
- وأبو عامر الهوزني: هو عبد الله بن لُحيّ-بضم اللام وفتح الحاء-: قال أبو زرعة والدارقطني:"لا بأس به"، ووثقه العجلي، وابن حبان، وغيرهم، وقال الذهبي:"ثقة"، وقال ابن حجر:"ثقة مخضرم".
- انظر: "الجرح والتعديل" (5/145)، "تهذيب التهذيب" (5/373)، "التقريب" (1/444)، "الكاشف" (2/109).
- فالحديث –بهذا الإسناد- حسنٌ؛ لحال أزهر بن عبد الله، لكنه صحيح بشواهده.
- وقد صححه الحاكم، ووافقه الذهبي –وسبقا-.
- وجوَّده العراقي في "تخريج الإحياء" حيث قال:"ولأبي داود من حديث معاوية، وابن ماجه من حديث أنس وعوف بن مالك:"وهي الجماعة"، وأسانيدها جياد".

"المغني عن حمل الأسفار في الأسفار" (3/230).

وحسنه ابن حجر، حيث قال: "وإسناده حسن".

"الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف" (ص 63).

وقال ابن تيمية: "هذا حديث محفوظ من حديث صفوان بن عمرو، عن الأزهر بن عبد الله الحرازي، عن أبي عامر عبد الله بن لحي، عن

معاويـة؛ رواه عنـه غيـر واحـد؛ منهـم: أبـو اليمـان، وبقيـة، وأبـو المغيرة...".

"اقتضاء الصراط المستقيم" (1/118).

7 (7) رواه: ابن ماجه في: 36- كتاب الفتن، 17- باب افتراق الأمـم، (رقم 3992)، (2/1322).

- وابن أبي عاصم في: 19- باب فيما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم أن أمته ستفترق، (رقم 63)، (1/32).

- واللالكائي في: سياق ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في الحث على اتباع الجماعة، (رقم 149)، (1/101).

وعلَّقه الحاكم في: كتاب الإيمان، (1/6).

- ورواه قـــوام السنة الأصبهاني في كتاب "الحجة في بيان المحجة": فصـل فـي ذكر الفرقة الناجية، القسم الأول، (رقم 19-20) (ص 26).

- كلهم من طريق عمرو بن عثمان، حدثنا عباد بن يوسـف، حـدثني صفوان بن عمرو، عن راشد بن سعد، عن عوف، به.

وعمرو بن عثمان: هو ابن سعيد بن كثير بن دينار الحمصي: ثقة.

انظر: "التهذيب" (8/76).

وعباد بن يوسف: لم يرو عنه من الستة إلا ابن ماجه، روى عنه هـذا الحـديث فحسـب، وقـد عـده ابن حبان في الثقات، ووثقه ابن مـاجه، وابـن أبـي عاصـم، وقـال عثمان بن صالح: "حدثنا إبراهيم بن العلاء، حـدثنا عبـاد بـن يوسـف؛ صاحب الكرابيسي، ثقة"، وقال ابن عدي: "روى عن صفوان وغيره أحاديث ينفرد بها".

والذي يترجَّح - والله أعلم - أنه صدوق، حسن الحديث.

انظر: "التهذيب" (5/110)، "الميزان" (2/380)، "المغني" (1/328)، "التقريب" (1/395)، "الكاشف" (2/7)، "الكامل" (4/1652).

وصفوان بن عمرو: ثقة.

وراشد بن سعد: ثقة.

انظر: "التهذيب" (3/225)، "التقريب" (1/240)، "الكاشف" (1/231).

فالحديث -بهذا الإسناد- حسن؛ لحال عباد بن يوسف.

وقد سبق ما يشهد للزيادة التي فيه -وهي: "الجماعة"- في رواية المروزي لحديث معاوية.

[8] (8) رواه البزار؛ كما في"كشف الأستار": كتاب العلم، باب التحذير من علماء السوء، (رقم 172)، (1/98).

وعزاه الهيثمي له وللطبراني في "الكبير"؛ قال: "ورجاله رجال الصحيح".

"المجمع": كتاب العلم، باب في القياس والتقليد، (1/179).

ورواه ابن عدي في "الكامل": في ترجمة نعيم بن حماد الخزاعي، (7/2483).

والبيهقي في "المدخل": باب ما يذكر من ذم الرأي، (رقم 207)، (ص 188).

وأبو زرعة الدمشقي في "تاريخه" في: (فقرة رقم 1783)، (1/622).

وابن بطة في "الإبانة الكبرى": باب ذكر افتراق الأمم في دينها، رقم (251)، (1/227).

والخطيب البغدادي في "تاريخ بغداد": في ترجمة نعيم بن حماد، رقمها (7285)، (13/307و 308).

والحاكم في "المستدرك": كتاب الفتن والملاحم، (4/430)، وقال:"هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه".

وابن عبد البر في "جامع بيان العلم وفضله": باب ما جاء في ذم القول في دين الله بالرأي والقياس، (2/133و 134).

ومداره على نعيم بن حماد، عن عيسى بن يونس.

ونعيم بن حماد: وثقه أحمد، وابن معين، وغيرهم، وقال ابن حجر:"صدوق يخطئ كثيراً..."، وقد تتبَّع ابن عدي ما أخطأ فيه، وقال:"وعامة ما أنكر عليه هو هذا الذي ذكرته، وأرجو أن يكون باقي حديثه مستقيماً".

انظر: "التهذيب" (10/458)، "التقريب" (2/305)، "الكامل" (7/2485).

وقال عبد الغني بن سعيد: "وبهذا الحديث سقط نعيم بن حماد عند كثير من أهل العلم بالحديث، إلا أن يحيى بن معين لم يكن ينسبه إلى الكذب، بل كان ينسبه إلى الوهم". "التهذيب" (10/461).

وقد تابع نعيماً في روايته عدد؛ منهم: عبد الوهاب بن الضحاك، وسويد الأنباري، وأبو صالح الخراساني، والحكم بن المبارك، والنضر ابن طاهر.

وانظرها في:"تاريخ بغداد" (13/310-311)، و"الكامل" (3/1264و 7/2483)، وغيرهما.

وقال عبد الغني: "كل من حدَّث به عن عيسى بن يونس غير نعيم ابن حماد؛ فإنما أخذه من نعيم".

وقال ابن عدي: "وهذا إنما يُعرف بنعيم بن حماد، ورواه عن عيسى ابن يونس، فتكلَّم الناس فيه بجرَّاه".

قال: "... ثم سرقه قومٌ ضعفاء ممَّن يعرفون بسرقة الحديث...".

"تاريخ بغـداد" (13/311)، "الكامـل" (3/1265)، "التهـذيب" (10/461).

والحديث - بهذا الإسناد - منكر.

قال أبو زرعة الدمشقي: "قلت ليحيى بـن معيـن فـي حـديث نعيـم هذا، وسألته عن صحَّته؟ فأنكره. قلتُ: من أين يـؤتى؟ قـال: شُـبِّه له".

وقـال البيهقي: "تفـرَد به نعيم بن حماد، وسرقه عنـه جماعـة مـن الضـعفاء، وهـو منكـر، وفي غيره من أحاديث الصحاح الواردة في معناه كفاية".

وقد سبق ذكر كلام عبد الغني.

أما تصحيح الحاكم له؛ فمدفوعٌ بأقوال هؤلاء الجهابـذة، وقـد عُـرف تساهله الشديد في التصحيح.

- لكنَّ صدر الحديث صحيح -كما سبق وسيأتي-.

9 (9) ذكره الهيثمي فـي "المجمـع"، وقـال: "رواه الطـبراني، وفيـه عبد الحميد ابن إبراهيم، وثَّقه ابن حبان، وهو ضعيف، وفيـه جماعـة لم أعرفهم".

" المجمع": كتاب الفتن، باب ثان في أمارات الساعة، (7/323).

وعبد الحميد؛ قال الذهبي: "ضُعِّف". وقال ابـن حجـر: "صـدوق؛ إلا أنه ذهبت كتبه، فساء حفظه".

"التهذيب" (6/108)، "الميزان" (2/537)، "الكاشف" (2/132)، "التقريب" (1/16).

10 (10) رواه الترمذي في: 41- كتاب الإيمان، 18- باب ما جاء فــي افتراق هذه الأمة، رقـم (2641)، (5/26)، وقـال: "هـذا حـديث

مفسر غريب لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه".

- وابن وضَّاح في "البدع والنهي عنها": باب فيما يُدال الناس بعضهم من بعض، (ص 85).

- والآجري في "الشريعة": باب ذكر افتراق الأمم في دينهم، (ص 15 و 16).

- والمروزي في "السنة": (ص 18).

- واللالكائي في: سياق ما رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم في الحث على اتِّباع الجماعة، (رقم 145-147)، (1/99).

- والعقيلي في "الضعفاء الكبير" في: ترجمة عبد الله بن سفيان الخزاعي، رقمها (815)، (2/262).

- والحاكم في: كتاب العلم، (1/128)، وأشار إلى أن إسناده لا تقوم به الحجة.

- وابن بطة في "الإبانة الكبرى": باب ذكر افتراق الأمم في دينهم، (رقم 443 - 244)، (1/219-221).

- وقوَّام السنة الأصبهاني في كتاب "الحجة في بيان المحجة": فصل في ذكر الفرقة الناجية، القسم الأول، (رقم 16-17)، (ص 24و 25).

ومداره على عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي، عن عبد الله ابن يزيد، عن عبد الله بن عمرو.

وعبد الرحمن: وثقه يحيى القطان مرة، وضعَّفه أخرى، ووثَّقه أحمد ابن صالح المصري، وقال البخاري: "مقارب الحديث"، وقال في "الضعفاء الصغير": "في حديثه بعض المناكير"، وضعفه يحيى بن معين، والإمام أحمد، والنسائي، وغيرهم، وقال الذهبي: "ضعفوه"، وقال ابن حجر: "ضعيف في حفظه".

انظـر: "التهـذيب" (6/173)، " الضـعفاء الصـغير" (ص 142)، "الكاشف" (2/146)، " التقريب" (1/480).

وعبد الله بن يزيد: هو المعافري: ثقة.

انظر:"التهذيب" (6/81)، "التقريب" (1/462).

فالحديث بهذا الإسناد ضـعيف؛ لضـعف عبـد الرحمـن فـي حفظـه وروايته للمناكير.

- وقـد حسـنه الترمـذي؛ كمـا فـي طبعـة "السـنن" مـع "تحفـة الأحوذي" (3/368)، طبعة دار الفكر، بمراجعة عبد الرحمن محمد عثمـان (7/400)، وكمـا نقلـه العراقـي فـي "تخريـج الإحيـاء" (3/230).

ولعل الترمذي حسَّنه لشواهده الكثيرة، وليس لتقـويته للإفريقـي، إذ إنه لم يحسّن حديث: "من أذَّن فهو يقيم" عن زيادة بن الحارث الصـدائي، وقـال عقبـه: "وحـديث زيـاد إنمـا نعرفـه مـن حـديث الإفـريقي، والإفريقي ضعيف عند أهل الحديث، ضعَّفه يحيى ابن سعيد القطان وغيره، وقال أحمد: لا أكتب حديث الإفريقي". قـال: "ورأيـت محمـد بـن إسـماعيل يقـوّي أمـره، ويقـول: هـو مقـارب الحديث".

"سنن الترمذي"(1/384).

11 (11) رواه ابـن مـاجه فـي: 36- كتـاب الفتـن، 17- بـاب افـتراق الأمم، (رقم 3993)، (2/1322).

وابن أبي عاصم في "السنة": 19- باب فيما أخـبر بـه النـبي صـلى الله عليه وسلم أن أمته ستفترق، (رقم 64)، (1/32).

من طريق هشام بن عمار، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا أبو عمرو، حدثنا قتادة، عن أنس.

وهشام: روى له الستة إلا مسلمًا، ووثقه ابن معين وغيره، وقال العجلي: "صدوق"، وقال أبو حاتم: "لما كبر هشام تغيّر، فكل ما دُفع إليه قرأه، وكل ما لُقِّن تلقَّن"، وقال ابن حجر: "صدوق".

"التهذيب" (11/51)، "التقريب" (2/32).

والوليد بن مسلم: هو القرشي، أبو العباس الدمشقي: ثقة، لكنه كثير التدليس والتسوية، وذكر أبو مسهر والدارقطني أن أكثر تدليسه عن الأوزاعي - وهو شيخه هنا-.

وأبو عمرو: هو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي: ثقة جليل.

"التقريب" (1/493).

وقتادة: هو ابن دعامة السدوسي: ثقة، ثبت، لكنه مدلّس، من الطبقة الثالثة.

انظر: "الميزان" (3/385)، "التقريب" (2/123)، "تعريف أهل التقديس" (ص 102).

- فهذا الحديث -بهذا الإسناد- ضعيف؛ لأن الوليد بن مسلم يدلّس تدليس التسوية، وهو أن يسقط ضعيفاً بين ثقتين، وهو شر أنواع التدليس، فلا يقطع باتصال السند إلا إذا صرح هو ومن فوقه من الرواة بالتحديث، وها هنا لم يصرِّح قتادة، مع أن قتادة نفسه مدلس.
- ولكنه حسنٌ بشواهده:
- ورواه الخطيب من طريق أخرى عن الوليد في "شرف أصحاب الحديث": 7- قوله:"ستفترق أمتي"، رقم (41)، ص (24).
- وذكره الجورقاني في "الأباطيل": 4- كتاب الفتن، 1- باب افتراق هذه الأمة، برقم (284)، (1/303) معلقاً إلى الوليد.

- والحديث جاء عن أنس من طرق أخرى كثيرة:
- أ- فرواه اللالكائي في: سياق ما روي عن النبي –صلى الله عليه وسلم- في الحث على اتباع الجماعة، برقم (148)،(1/100)، وهو من طريق الأوزاعي، أن يزيد الرقاشي حدَّثه، أنه سمع أنس بن مالك: (فذكره نحوه).
- وكذلك أخرجه قوَّام السنة الأصبهاني في كتاب "الحجة في بيان المحجة":فصل في ذكر الفرقة الناجية، القسم الأول، رقم (18)، ص (26).
- ويزيد: هو ابن أبان الرقاشي، وهو ضعيف.
- انظر: "التهذيب" (11/309)، "التقريب" (2/361).
- ب- ورواه الإمام أحمد في "المسند" (3/120) من طريق وكيع، حدثنا عبد العزيز –يعني: الماجشون-، عن صدقة بن يسار، عن العميري، عن أنس، بنحوه.
- ورواته ثقات، عدا العميري.
- قال الشيخ الألباني:"والعميري هذا لم أعرفه، وغالب الظن أنه محرَّف من (النميري)، واسمه زياد بن عبد الله، فقد روى عن أنس، وعنه صدقة بن يسار، وهو الذي روى هذا الحديث عنه، فالنميري ضعيف، وبقية رجاله ثقات".

"سلسلة الأحاديث الصحيحة" رقم (204) (1/3/16).

وانظر في ترجمة النميري هذا: "التهذيب" (3/378)، "الكامل" (3/1044).

فإن كان هو؛ فالإسناد –أيضاً- ضعيف.

جـ-ورواه الإمام أحمد أيضاً من حديث حسن، حدثنا ابن لهيع ة، حدثنا خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن أنس بنحوه: (3/145).

وحسن: هو ابن موسى الأشيب، ثقة.

انظر:"التهذيب" (2/323)، "التقريب"(1/171).

وابن لهيعة: سبق الكلام فيه في الرسالة الأولى، وأن رواية العبادلة عنه مقبولة –حسب-.

وخالد بن يزيد: هو الجمحي، وهو ثقة.

انظر: "التهذيب" (2/139)، "التقريب" (1/220).

وسعيد بن أبي هلال: وثقه ابن سعد، والعجلي، والدارقطني، وغيرهم، وضعفه ابن حزم بغير حجة، وذكر الساجي عن الإمام أحمد أنه اختلط، وقال ابن حجر: "صدوق"، وقال الذهبي:"ثقة، معروف، حديثه في الكتب الستة".

انظر: "التهذيب" (4/94)، "التقريب" (1/307)، "الميزان" (2/162).

ولكن روايته عن أنس مرسلة؛ كما في "التهذيب"، وروايته هنا عن أنس.

فهذا مرسل ضعيف؛ لحال ابن لهيعة.

د- ورواه أسلم بن سهل الواسطي في "تاريخ واسط": تسمية القرن الرابع من أهل واسط، ص (196): من طريق وهب بن بقية، قال: أخبرني عبد الله بن سفيان الواسطي، قال: حدثنا يحيى بن سعيد الأنصاري، عن أنس...وقال:"تفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة..."، وفيه:"ما كان على ما أنا عليه اليوم وأصحابي".

ومن طريقه أخرجه العقيلي في "الضعفاء"، في: ترجمة عبد الله ابن سفيان الخزاعي، رقم الترجمة (815)، (2/262).

والطبراني في "معجمه الصغير": فيمن اسمه عيسى، (1/256).

والجورقاني في "الأباطيل": 4- كتاب الفتن، 1- باب افتراق هذه الأمة، برقم (283)، وقال:"هذا حديث عزيز حسن مشهور، ورواته كلهم ثقات أثبات، كأنهم بدور وأقمار"!

وأسلم بن سهل، وإن لينه الدارقطني؛ فقد وثقه غيره، وقال خميس الحوزي:"ثقة ثبت، إمام جامع، يصلح للصحيح، وكان لا مزيد عليه في الحفظ والإتقان"، وقال الذهبي:"هو الحافظ الصدوق".

انظر: "سؤالات السلفي للحوزي"، ترجمة رقم (98)، ص (111)، "تذكرة الحفاظ" للذهبي (2/664)، لسان الميزان (1/388).

ووهب بن بقية: ثقة.

انظر: "التهذيب" (11/159)، "التقريب" (2/337).

وعبد الله بن سفيان الواسطي: قال العقيلي:"لا يُتابع على حديثه"، ثم ذكر حديث الافتراق، ثم قال:"ليس له من حديث يحيى بن سعيد أصل، وإنما يُعرف هذا الحديث من حديث الإفريقي".

"الضعفاء الكبير" ترجمة (815)، (2/262)، ونقله كله الذهبي في "الميزان" (2/430).

ويحيى بن سعيد الأنصاري: ثقة، ثبت.

انظر: "التهذيب" (11/321)، "التقريب" ص (591) تحقيق محمد عوامة، وقد سقطت عبارة التوثيق من الطبعة المصرية.

فالإسناد ضعيف لحال عبد الله بن سفيان الواسطي.

هـ- ورواه الآجرِّي في "الشريعة": باب ذكر افتراق الأمم في دينهم، ص (16): عن يعقوب بن زيد بن طلحة، عن زيد بن أسلم، عن أنس، وذكر حديثاً طويلاً فيه اختلاف اليهود ثم

النصارى، ثم قال:"وتعلو أمتي على الفريقين جميعاً بملة واحدة".

ورواه أيضاً ابن مردويه؛ كما في "تفسير ابن كثير": سورة المائدة، (2/76-77)، وقال ابن كثير:"هذا حديث غريب جداً من هذا الوجه بهذا السياق...".

ورواه أبو يعلى؛ كما في "المطالب العالية": كتاب الإيمان، باب افتراق الأمة، (ل:202- المسندة).

وابن بطة في "الإبانة الكبرى": باب ذكر افتراق الأمم في دينهم، رقم (248)، (1/224).

وأبو معشر: هو نجيح بن عبد الرحمن السندي: ضعيف، مختلط.

وانظر: "التهذيب" (10/419)، "التقريب" (2/298).

ويعقوب بن زيد بن طلحة: ثقة.

"التهذيب" (11/385).

وزيد بن أسلم: ثقة، فقيه، عالم، وكان يرسل.

"التهذيب" (3/395)، "التقريب" (1/272).

فهذا الإسناد ضعيف لضعف أبي معشر.

و- ورواه الآجري –أيضاً-: من طريق شبابة بن سوار، قال: أخبرنا سليمان بن طريف، عن أنس، بمعناه، ص (17).

وابن بطة في "الإبانة الكبرى": باب ذكر افتراق الأمم، رقم (249)، (1/225).

وشبابة بن سوار: ثقة، حافظ.

"التقريب" (1/345).

أما سليمان بن طريف –أو طريف بن سليمان-؛ فهو مشهور بكنيته: أبي عاتكة، ولذلك قال الشيخ الألباني في "سلسلته

الصحيحة" (1/3/16):" لم أجد له ترجمة"، وهو مترجم في "التهذيب" وغيره: قال البخاري:"منكر الحديث"، وقال أبو حاتم:"ضعيف الحديث ذاهب الحديث"، وقال ابن حبان:"منكر الحديث جداً"، وقالد الدارقطني:"ضعيف".

"التاريخ الكبير" (4/357)، "الجرح والتعديل" (4/494)، "المجروحين" (1/382)، "التهذيب" (12/141).

ز- ورواه –أيضاً- من طريق سويد بن سعيد، قال:حدثنا مبارك بن سحيم، عن عبد العزيز بن صهيب، عن أنس، وفيه:"وإن أمتي ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا السواد الأعظم".

ورواه ابن بطة في "الإبانة الكبرى": باب ذكر افتراق الأمم في دينهم، رقم (250)، (1/226).

والجورقاني في الأباطيل: 4-كتاب الفتن، 1-باب افتراق هذه الأمة، برقم (285)، (1/303).

وسويد: مختلف فيه، وهو إلى الضعف أقرب.

انظر: "الكامل" (3/1263)، "التهذيب" (4/272).

ومبارك بن سحيم مولى عبد العزيز بن صهيب: متروك.

انظر: "التهذيب" (10/27)، "التقريب" (2/227).

فهذا إسناد ضعيف جداً لحال مبارك.

ح-ورواه ابن عدي في: ترجمة خلف بن ياسين الزيات، (3/934): من طريق خلف، حدثنا الأبرد بن الأشرس، عن يحيى ابن سعيد، عن أنس، وفي متنه اضطراب، حيث قال:"تفترق أمتي على إحدى وسبعين فرقة؛ كلها في النار؛ إلا واحدة" قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال:"الزنادقة وهم أهل القدر".

وبنحوه رواه الجورقاني في "الأباطيل": 4-كتاب الفتن، 1- بـاب افتراق هذه الأمة، برقم (277-280)، (1/96).

والحـديث بهـذا الإسـناد موضـوع؛ فـإن خلفـاً عـدَّه العقيلـي فـي المجهــولين، وقــال ابــن عــدي:"لــم أر لخلــف غيــر هــذا الحديث...ورواياته عن مجهولين".

"الضعفاء" للعقيلي (2/23)، "الكامل" (3/4).

والأبرد بن الأشرس: قال ابن خزيمة:"كذاب وضَّاع".

"المغني" (1/32).

وقال ابن حجر بعد سياقه الحديث كما سقته:"هذا موضوع، وهـو –كما ترى- متناقض".

"لسان الميزان" (2/405).

- وقال الجورقاني: "هذا حديث لا يُرجـع منـه إلـى صـحة، وليـس لهذا الحديث أصل من حديث يحيى بن سعيد، ولا من حديث سـعد بن سعيد...".

ط- ورواه الخطيب البغـدادي فـي "شـرف أصـحاب الحـديث": 7- قـوله صـلى اللـه عليـه وسـلم: "**سـتفترق أمـتي علـى نيـف وسبعين فرقة**" (رقم 40)، (ص 24): من طريـق الحجـاج بـن يوسـف بـن قتيبـة ابـن مسـلم الأصـبهاني، قـال: حـدثنا بشـر بـن الحسن، قال: حدثنا الزبير ابن عدي، عن أنس.

والحجاج بن يوسف بن قتيبة هو: أبو محمد الأزرق: له ترجمة في "تاريخ أصبهان" (1/301).

وبشر بن الحسين: قال البخاري: "فيه نظر"، وقال الـدارقطني: "متروك"، وقال أبو حاتم الوازي حين سئل عن أحاديثه عن الزبيـر عن أنس؛ قال: "هي أحاديث موضوعة"، وقال ابن حبـان: "يـروى عن الزبير بن عدي نسخة موضوعة، ما لكثير حديث منهـا أصـل...

روى عنه حجاج بن يوسف بن قتيبة تلك النسخة"، وقال الدارقطني: "يروي عن الزبير بواطيل".

"الجرح والتعديل" (2/355)، كتاب "المجروحين" (1/190)، "الميزان" (1/315)، "التهذيب"(3/317).

فقد حكم الأئمة على هذه النسخة -ومنها هذا الحديث- بأنها باطلة موضوعة.

- فإذا استبعدنا الطرق الأربع الأخيرة؛ بقي لدينا ست طرق كلها ضعيفة ضعفًا منجبرًا، وهي تؤكد ثبوت الحديث عن أنس رضي الله عنه.

12 (12) رواه ابن أبي عاصم في "السنة": 19- باب فيما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم أن أمته ستفترق، (رقم 68) (1/34).

ومحمد بن نصر المروزي في "السنة": (ص 16و 17).

- والطبراني في "الكبير": برقم (8035 و 8051 و 8054)، (8/32 1 و 327 و 328).

- واللالكائي في "شرح أصول الاعتقاد": سياق ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في الحث على اتباع الجماعة، (رقم 151 و 152)، (1/102-104).

- وابن أبي زمنين في " أصول السنة": باب النهي عن مجالسة أهل الأهواء، (ل:36-37).

- والحارث بن أبي أسامة؛ كما في "المطالب العالية": كتاب الإيمان والتوحيد، باب افتراق الأمة (ل: 202 - المسندة).

- وأبو نعيم الأصبهاني في"ذكر أخبار أصبهان"، في: ترجمة حزور الأصبهاني أبي غالب، (1/286).

- ورواه البيهقي في "السنن": كتاب قتال أهل البغي، باب الخلاف في قتال أهل البغي، (8/188).

- ورواه أبو عمرو الداني في "السنن الواردة في الفتن": باب ما جاء في ظهور البدع والأهواء، (ل:24 /ب).

ومدار أسانيدهم جميعًا على أبي غالب، عن أبي أمامة.

- فرواه ابن أبي عاصم، عن أبي بكر بن أبي شيبة، حدثنا قطن بن عبد الله، عن أبي غالب.

- وأبو بكر بن أبي شيبة: هو الإمام عبد الله بن محمد بن إبراهيم: ثقة، حافظ.

"التهذيب" (6/2)، "التقريب" (1/445).

أما قطن بن عبد الله، أبو مُرّي -بضم الميم، وتشديد الراء-؛ فذكره البخاري، ثم ابن أبي حاتم، ولم يذكرا فيه جرحًا ولا تعديلاً، وكذلك مسلم، والدولابي في "الكنى"، وقد روى عنه اثنان، فهو مستور.

"التاريخ الكبير" (7/189)، "الجرح والتعديل" (7/137)، "الكنى" لمسلم (2/833) –ووقع فيه مطبوعًا ومخطوطًا: "قطري"-، "الكنى" للدولابي، (1/112).

أما أبو غالب؛ فهو حزور؛ كما سماه مسلم، ويحيى بن معين، وابن عدي، والطبراني، والدولابي، وابن عبد البر، وغيرهم: قال يحيى بن معين:"ثقة"، وفي رواية: "صالح الحديث"، وقال الدارقطني: "ثقة"، ووثقه موسى ابن هارون، وضعفه أبو حاتم، والنسائي، وابن حبان، وقال ابن عدي: "... ولم أر في حديثه حديثًا منكرًا جدًّا، وأرجو أنه لا بأس به"، وقال ابن حجر: "صدوق يخطئ"، وقال الذهبي: "صالح الحديث".

"تاريخ الدارمي عن يحيى بن معين" (ص 236)، "الجرح والتعديل" (3/316)، "الكنى" للدولابي (2/79)، "الكنى" لمسلم (2/665)، "الاستغناء" لابن عبد البر (2/871)، "الكامل" (2/860)، "التهذيب" (12/197)، "التقريب" (2/460)، "الكاشف" (3/322).

فالحديث بهذا الاسناد ضعيف؛ لجهالة قطن بن عبد الله.

لكنه لم ينفرد به؛ بل تابعه عدد من الرواة؛ منهم:

حماد بن زيد عند: البيهقي، وابن أبي زمنين، والطبراني، والداني.

وحماد: ثقة، ثبت، فقيه.

انظر: "التهذيب" (3/9)، "التقريب" (1/197).

وقريش بن حبان عند الطبراني.

وسلم بن زرير عند: الطبراني، واللالكائي.

وداود بن السليك عندهما.

وداود بن أبي الفرات عند المروزي.

فالحديث - بهذا - إسناده حسن.

وقد قال فيه الهيثمي: "رواه الطبراني، ورجاله ثقات".

"المجمع" (6/234).

وقال في موضع آخر: "رواه الطبراني في "الأوسط" و"الكبير" بنحوه، وفيه أبو غالب، وثَّقه ابن معين وغيره، وبقية رجال "الأوسط" ثقات، وكذلك أحد إسنادي (الكبير)".

"المجمع" (7/258).

[13] (13) رواه الآجري في "الشريعة": باب ذكر افتراق الأمم، (ص 17).

والمروزي في "السنة" (ص 17).

والبزار؛ كما في "كشف الأستار": كتاب الفتن، باب افتراق الأمم، (رقم 284)، (4/97)، وقال: "لا نعلمه يروى عن سعد إلا من هذا الوجه، ولا نعلم روى (عبد الله) ابن عبيدة [كذا، والذي في السند المطبوع: موسى بن عبيدة، وقد عدَّه المحقق الشيخ الأعظمي خطأ، ونبه عليه، وفي تخطئته نظرٌ؛ لما ذكرتُه في إسناد هذا

الحديث] عن عائشة عن أبيها إلا هذا".

وابن بطة في "الإبانة الكبرى": باب ذكر افتراق الأمم فـي دينهـم، (رقم 242 و 245-246)، (1/218 و 221-222).

كلهم من طريق أحمد بن عبـد اللـه بـن يـونس، عـن أبـي بكـر بـن عياش، عن موسى ابن عبيدة، عن عائشة بنت سعد.

وأحمد بن عبد الله بن يونس: ثقة، حافظ.

"التقريب" (1/19).

وأبو بكر بن عياش: هو ابن سالم الأسدي الكـوفي المقـرئ: ثقـة، عابد، إلا أنه لما كبر ساء حفظه.

انظر: "تهذيب الكمال" (3/1586)، "التقريب" (2/399).

- وموسى بن عبيدة: هو الربذي، ضعيف.

"التقريب" (2/286).

وعائشة بنت سعد: ذكرها ابن حبان في "الثقات"، وقـال العجلـي: "تابعية، ثقة، مدنية".

"الثقـات" لابـن حبـان (5/288)، "ثقـات" العجلـي (ص 521)، وانظر: "تهذيب التهذيب" (12/36).

فالإسناد ضعيف لضعف موسى بن عبيدة الربذي.

وفي إسناد المـروزي وإحـدى طـرق ابـن بطـة دخـل بيـن موسـى وعائشة: عبد الله ابن عبيدة، وهو الربذي، أخو موسى بن عبيدة.

وهذا الصنيع يفسر قول البزار السابق، ويضيف إلـى الحـديث علـة أخرى؛ فإن عبد الله هذا وثَّقه يعقوب بن شيبة، والدارقطني، وقال النسائي: "ليس به بأس"، وقال أحمد عنه وعن أخيـه: "لا يشـتغل بهما"، وقال ابن معين: "حـديثهما ضعيف"، وقـال عـن عبـد اللـه: "ليس بشيء"، وقال ابن عدي: "تبين على حديثه الضعف"، وقـال

ابن حجر: "ثقة"، وقال الذهبي: "صدوق، فيه شيء".

"التهذيب" (5/309)، "الكاشف" (2/95)، "التقريب" (1/431).

مع دلالته على اضطراب موسى أو غيره في روايته للحديث، فمرة يرويه عن عبد الله ومرة عن عائشة.

[14] (14) الحديد: 27.

[15] (15) رواه الطبراني في "الكبير": برقم (10357)، (10/211).

وابن أبي حاتم في "تفسيره"؛ كما ساقه ابن كثير في "التفسير": تفسير سورة الحديد، (4/315).

وابن أبي عاصم في "السنة": 19 - باب فيما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم أن أمته ستفترق، (رقم 71)، (1/35).

كلهم من طريق هشام بن عمار، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثني بكير بن معروف، عن مقاتل بن حيان، عن القاسم بن عبد الرحمن ابن عبد الله بن مسعود، عن أبيه، عن جده.

وهشام: صدوق.

والوليد: ثقة يدلس تدليس التسوية، فيلزم للحكم باتصال السند أن يصرّح هو وجميع مَن فوقه بالتحديث.

وبكير بن معروف: هو الأسدي: قال أحمد وأبو حاتم والنسائي وابن عدي: "لا بأس به"، ووثقه ابن حبان وغيره، وتكلّ
َم فيه ابن المبارك، وأحمد في رواية، وقال ابن حجر: "صدوق، فيه لين".

"التهذيب" (1/495)، "التقريب" (1/108)، "الميزان" (1/351).

ومقاتل بن حيان: ثقة.

انظر: "التهذيب" (10/277)، "التقريب" (2/272).

والقاسم بن عبد الرحمن: ثقة.

انظر: "التهذيب" (8/321)، "التقريب" (2/118).

- وأبوه عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود: ثقة.
- انظر: "التهذيب" (6/15)، "التقريب" (1/448).
- فالإسناد ضعيف؛ لما سبق من تدليس الوليد.
- لكنه جاء من طريق أخرى:
- عند الطبراني في "الكبير" برقم (10531)، (10/271).
- وفي "الصغير": من اسمه عبد الله، (1/223).
- والمروزي في "السنة": (1)، ص (16).
- وابن أبي عاصم في: 19- باب فيما أخبر به –عليه الصلاة والسلام-، رقم (70)، (1/35).
- والطبري في "التفسير": تفسير سورة الحديد (27/239).
- وأبي يعلى؛ كما ذكره ابن كثير في: تفسير سورة الحديد، (4/316).
- والحاكم في: كتاب التفسير، تفسير سورة الحديد، (2/480)، وقال:"هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه"، وتعقبه الذهبي بقوله:"ليس بصحيح؛ فإنه الصعق وإن كان موثقاً؛ فإن شيخه منكر الحديث. قاله البخاري".
- كلهم من طريق الصعق بن حزن، حدثنا عقيل الجعدي، عن أبي إسحاق الهمداني، عن سويد بن غفلة.
- والصعق: صدوق، يهم؛ كما في "التقريب" (1/367)، وسبق قول الذهبي فيه.
- أما عقيل؛ فقال البخاري: "منكر الحديث"، وقال ابن حبان:"منكر الحديث، يروي عن الثقات ما لا يشبه حديث

الأثبات، فبطل الاحتجاج بما روى، وإن وافق فيه الثقات".

- "التاريخ الكبير" (7/53)، "كتاب المجروحين" (2/192).
- وبهذا يتبين أن قول ابن كثير في "التفسير" (4/316) عقب سياقه للطريق الثانية:"فقوي الحديث من هذا الوجه" فيه نظر؛ فإن رواية عقيل وأضرابه لا يكتسب الحديث بها قوة.

[16]- وقد قال السيوطي في "الدر": "أخرج عبد بن حميد والحكيم الترمذي في "نوادر الأصول" ... وابن المنذر ... وابن مردويه، والبيهقي في "شعب الإيمان"، وابن عساكر من طرق عن ابن مسعود (فذكره)" (8/64).

(16) رواه الطبراني في "الكبير": برقم (7659)، (8/178).

- وابن حبان في "المجروحين": في ترجمة كثير بن مروان الشامي (2/225).

والحديث - بهذا الإسناد - باطل؛ لأنه من طريق كثير بن مروان الشامي، وهو ضعيف جدًّا -كما سبق في الرسالة الأولى- عن عبد الله بن يزيد الدمشقي، وهو أشد ضعفًا منه؛ بل قد قال الإمام أحمد: " أحاديثه موضوعة"، وسئل أبو حاتم عنه وعن حديث رواه، فقال: "لا أعرفه، وهذا حديث باطل".

وانظر طرف الحديث المتعلّق بغربة الإسلام في الرسالة الأولى من هذه السلسلة.

[17] (17) كذا في "المستدرك"، ولعلها: "ثم إنكم تكونون".

[18] (18) رواه الحاكم في "مستدركه" في آخر كتاب العلم، (1/129)، وقال قبل روايته: "وقد رُويَ هذا الحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص، وعمرو بن عوف المزني بإسنادين، تفرد بأحدهما عبد الرحمن بن زياد الإفريقي، والآخر كثير بن عبد الله المزني، ولا تقوم بهما الحجة.

- وهذا الإسناد ضعيف جدًّا؛ لحال كثير بن عبد الله، وقد سبق بيان حاله في تخريج حديث الغربة في الرسالة الأولى.

[19] (19) الجالوت: اسم أعجمي؛ كما في "القاموس" (1/151).

ولم أقف على تعريف برأس الجالوت، لكن من الواضح في سياق الرواية أنه من كبار زعماء اليهود في بلاد الإسلام.

[20] (20) الأسقف: بضم الهمزة والقاف وتشديد الفاء أو تخفيفها، رئيس النصارى، وقيل: هو فوق القسيس، ودون المطران.

"القاموس"(3/157).

ولعله المعبَّر عنه في الحديث الآتي بالجاثليق.

[21] (21) الأعراف:159.

[22] (22) المائدة: 66.

[23] (23) الأعراف:181.

[24] (24) رواه الإمام المروزي في كتاب "السنة": (ص 18-19): من طريق يونس ابن عبد الأعلى، أنبأ ابن وهب، أخبرني أبو صخر، عن أبي معاوية البجلي، عن سعيد بن جبير، عن أبي الصهباء البكري، قال: سمعت علي بن أبي طالب: (فذكره).

ويونس بن عبد الأعلى: ثقة، ثبت.

انظر: "التهذيب" (11/440)، "التقريب" (2/385).

وابن وهب: هو عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي: ثقة، حافظ، عابد.

وأبو صخر: هو حميد بن زياد المدني، أبو صخر الخراط، صاحب العباء: قال أحمد وابن معين: "ليس به بأس"، وضعفه النسائي، وابن معين في رواية، وذكر ابن عدي بعض مناكيره، ثم قال: "وسائر حديثه أرجو أن يكون مستقيمًا"، وقال ابن حجر: "صدوق يهم".

" تهذيب الكمال" (7/366-المطبوع)، "التقريب" (1/202).

وأبـو معاويـة البجلـي اختلفـوا فيـه: مـن هـو؟ قـال ابـن حجـر فـي "التقريـــــــــــــب": "هـــــــــــــو عمـــــــــــــار الـــ

وأبـو الصـهباء البكـري: هـو صـهيب مـولى ابـن عبـاس: وثّقه أبو زرعة، وابن حبان، والعجلي، وضعفه النسائي.

انظر: "الجرح والتعديل" (4/444)، "تهذيب التهذيب" (4/439)، "الاستغناء" (2/781)، (3/1362)، "ثقات العجلي" (ص 230).

- فالإسناد ضعيف؛ لحال أبي صخر، واحتمال الانقطـاع بيـن عمـار وسعيد.

- وقـد رواه ابـن وهـب فـي "جـامعه"؛ كمـا ذكـر الشـاطبي فـي "الاعتصام" (2/242).

- وقد روى ابن وضَّاح في "البدع والنهي عنها" عـن علـي بـن أبـي طالب – رضي الله عنه – أنه قال : "لا تقـوم السـاعة حـتى تكـون هذه الأمة على بضع وسبعين ملَّة، كلها فـي الهاويـة، وواحـدة فـي الناجية" (ص 85).

- رواه عن أبي مروان عبد الملك بن حبيب البزار، أخبرنـا إبراهيـم ابن محمد الفزاري، عن العلاء بن المسيب، عن معاويـة العبسـي، عن زاذان، عن علي.
- ورواه ابن بطة في "الإبانة الكبرى": باب ذكر افتراق الأمـم فـي دينها، (رقم 253)، (1/228).
- وعبد الملك بن حبيب: هو أحـد الأئمـة ، كـثير الـوهم، اشـتدَّ ابـن حزم عليه، وجهَّله بعضهم، قال الـذهبي: "الرجـل أجَـلُّ مـن ذلـك، لكنه يغلط".

والذي يظهر أن الرجل كـانت لـه عنايـة بـالفقه والأدب ومجالسـة الكبراء، ولم يكن مشتغلاً بالحـديث، أمـا اتهـامه بالكـذب فمطَّـرح مردود.

انظر : "ميزان الاعتدال" (2/652)، "تهـذيب التهـذيب" (6/38)، وانظر ترجمة مطولة له في "ترتيب المـدارك" للقاضـي عيـاض (4/122-142).

- أما إبراهيم بن محمد الفزاري؛ فهـو ثقـة إمـام حـافظ، يكنـى أبـا إسحاق.

انظر : "تهذيب التهذيب" (1/151)، "التقريب" (1/41).

والعلاء بن المسيب : ثقة.

انظر: "التهذيب" (8/192)، "التقريب" (2/94).

- أما معاوية العبسي أو القيسي؛ كمـا فـي "الإبانـة الكـبرى" لابـن بطة، فإنني لم أجـده فـي كتـب الـتراجم المطبوعـة الـتي وقفـتُ عليها.

- وزاذان : ثقة.

"تهذيب التهذيب" (3/302)، "الكاشف" (1/246)

- وروى المروزي في "السنة" (ص 19) عن إسحاق بـن إبراهيـم، أنبأ عطاء بن مسلم الحلبي، قـال: سـمعتُ العلاء بـن المسـيب، يحدث عن شريك البرجمي، قال: حدثني زاذان أبو عمـر ، قـال : قال علي: يا أبا عمر : أتدري كم افـترقت اليهـود؟ قـال : قلـت: الله ورسوله أعلم . فقال : افترقت على إحـدى وسـبعين فرقـة كلها في الهاوية إلا واحدة، وهي الناجيـة. والنصـارى علـى ثنـتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية إلا واحـدة ، وهـي الناجيـة... ياأبـا عمر! أتدري على كم تفـترق هـذه الأمـة ؟ قلـت: اللـه ورسـوله أعلم. قال : تفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها فـي الهاويـة إلا واحدة،وهي الناجية...

- وإسحاق بن إبراهيم: هـو ابـن راهـويه، الإمـام، الثقـة، الحـافظ، المجتهد.

انظر : "التهذيب" (1/216)، "التقريب" (1/54).

- وعطاء بن مسلم الحلبي هو الخفَّـاف، رجـل صـالح فـي أحـاديثه بعض النكارة، وقال ابن حجر: "صدوق، يخطىء كثيراً".

"تهذيب التهذيب" (7/11)، "التقريب" (2/22).

- وشريك البرجمي ذكره البخاري ثم ابن أبـي حـاتم دون جـرح ولا تعديل، روى عنه العلاء بن المسيب، فهو على هذا مجهول.

انظر: "التاريخ الكبير" (4/240)، "الجرح والتعديل" (4/365).

- والعلاء بن المسيب وزاذان : سبقا قبل قليل.

- فالإسناد ضعيف لحال شريك، وعطاءٌ – وإن كان يخطىء كثيراً – إلا أنه قد توبع في الطريق السابقة.

- فهذه ثلاث طرق عن علي – رضي اللـه عنـه – ولكنهـا ضـعيفة لا تثبت.

- وقد جاء في رواية حديث أنس – رضي الله عنه – في الافتراق قول يعقوب بن زيد – أحد رجال السند - : وكان علي بن أبي طالب إذا حدث بهذا الحديث عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – تلا منه قرآناً : (وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ) (الأعراف:159)، ثم ذكر أمة عيسى ، فقال: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ) (المائدة:65)، ثم ذكر أمتنا، فقال: (وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ) (الأعراف:181).

[25]وسبق تخريج الحديث.

- ويعقوب بن زيد، وإن كان ثقة -كما سبق-؛ إلا أنه لم تذكر له رواية عن الصحابة، فحديثه عن عليّ مرسل.

(25) كذا، ولعلها: الجاثليق - بفتح المثلَّثة، وآخره قاف، وهو رئيس النصارى في بلاد الإسلام.

"القاموس" (3/224).

[26] (26) رواه ابن بطة في "الإبانة الكبرى": باب ذكر افتراق الأمم في دينهم، وعلى كم تفترق الأمة؟ (رقم 254)، (1/1229)، قال: حدثنا أبو علي إسماعيل بن العباس الوراق، قال: حدثنا الحسن بن محمد الصباح الزعفراني، قال: حدثنا شبابة، قال: حدثنا سوادة بن سلمة أن عبد الله بن قيس قال: (فذكره).

وأبو علي إسماعيل بن العباس الورَّاق: روى عنه الدارقطني ووثقه، وقال الذهبي: "المحدث الإمام الحجة"، وذكره يوسف بن عمر القوَّاس في جملة شيوخه الثقات.

انظر: "تاريخ بغداد" (6/300)، "المنتظم" لابن الجوزي (6/278)، "سير أعلام النبلاء" (15/74).

- والحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني، ثقة.

"تهذيب التهذيب" (2/318)، "التقريب" (1/170).

- وشبابة هو ابن سوار الفزاري: ثقة، مرجئ.

انظر: "تهذيب التهذيب" (2/318)، "التقريب" (1/170).

أما سوادة بن سلمة؛ فلم أقف له على أثر بعد البحث.

وعبد الله بن قيس: هو أبو موسى الأشعري رضي الله عنه.

فرجال الإسناد ثقات، عدا سوادة هذا، وهو يشبه حديث عليّ رضي الله عنه وقصته مع رأس الجالوت وأسقف النصارى.

- ورواه في "الشرح والإبانة" تعليقًا بلفظ: "تفترق هذه الأمة على نيّ
ِف وسبعين فرقة، شرها فرقة تنتحل حبّ
َنا، وتخالف أمرنا"، (رقم 229) (ص 169).

27 (27) رواه أسلم بن سهل الواسطي في "تاريخ واسط"، في ترجمة محمد بن الهيثم السمسار، (ص 235)، قال: حدثنا محمد بن الهيثم، قال: حدثنا شجاع بن الوليد، عن عمرو بن قيس، عن جدته، عن جابر.

ومحمد بن الهيثم السمسار: ثقة حافظ.

"تهذيب التهذيب" (9/498)، "الكاشف" (3/92)، "التقريب" (2/215).

- وشجاع بن الوليد: أبو بدر الكوفي: قال أحمد: "كان شيخًا صالحًا صدوقًا"، وقال أبو زُرعة: "لا بأس به، وثقه ابن حبان وغيره، وضعفه أبو حاتم"، وقال الذهبي: "الحافظ الصالح".

"الضعفاء الكبير" (2/184)، "تاريخ بغداد" (9/247)، "تهذيب التهذيب" (4/313)، "الكاشف" (2/5)، وانظر: "التقريب" (1/347).

- وعمرو بن قيس: لم أقف عليه، وكذا جدته، وقد ذكروا ممَّن يسمى بهذا الاسم: عمرو بن قيس بن يسير بن عمرو الكوفي سمع أباه.

وانظر: "التاريخ الكبير" (6/364)، "الجرح والتعديل" (6/254).

- وقد ذكر الحافظ ابن حجر رواية جابر، ثم قال: "وفي إسناده راو لم يُسَمَّ".

"الكافي الشاف" (ص 63)، (حديث رقم 17).

28 (28) عند ابن ماجه وابن أبي عاصم، وإسنادها ضعيف كما سبق، وعند أحمد بسند ضعيف أيضًا، وعنده من طريق أخرى ضعيفة.

29 (29) عند أسلم بن سهل في "تاريخ واسط"، والعقيلي في "الضعفاء"، والطبراني في "الصغير"، وعند الآجري في "الشريعة" من طرق.

30 (30) كما في "المسند" (3/145)، وهي مرسلة ضعيفة كما سبق.

31 (31) يوسف بن أسباط بن واصل الشيباني: كان من عبّ
َاد أهل الشام وقرائهم، وكان لا يأكل إلا الحلال، قال العجلي: "صاحب سنة وخير". ووثقه ابن معين، وابن حبان، توفي سنة خمس وتسعين ومائة.

انظر:" سير أعلام النبلاء" (9/169)، "تهذيب التهذيب" (11/407)، "حلية الأولياء" (8/237).

32 (32) عبد الله بن المبارك: الإمام، شيخ الإسلام في زمانه، أبو عبد الرحمن الحنظلي المروزي، ولد سنة ثمان عشرة ومائة، ومات سنة إحدى وثمانين ومائة، ومن سادات المسلمين وحفاظهم وشجعانهم وأجوادهم، له أخبار عجيبة.

انظر: "سير أعلام النبلاء" (8/378)، "تهذيب التهذيب" (5/382)، "الحلية" (8/162).

[33] (33) كلمة ابن أسباط رواها ابن أبي عاصم في "السنة": 177- باب في الإرجاء والمرجئة، (رقم 953)، (ص 449).

[34] (34) "فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية" (3/350)، "الاعتصام" (2/220)، وانظر: "الحوادث والبدع" للطرطوشي (ص 31).

والروافض: هم الذين رفضوا إمامة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وادّعَوْا النّصّ على إمامة عليّ، وكفّروا الصحابة إلا أفرادًا معدودين، وادّعَوا العصمة للأئمة، وهم فرق شتى، أوصلها بعضهم إلى ثلاث وسبعين، وحمل بعض الرافضة الحديث عليها، باعتبار أن غيرهم ليسوا من أمة الدعوة، وأوصلها بعضهم إلى ثلاث مئة!

انظر: "مقالات الإسلاميين" لأبي الحسن الأشعري، (ص 16-وما بعدها)، "التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع" لأبي الحسين الملطي (ص 18-وما بعدها)، "خطط المقريزي" (2/351).

والخوارج: هم الذين يكفّرون أهل المعاصي كفرًا أكبر، بعضهم يكفّر أهل الكبائر، وكان أول ظهورهم في عهد علي بن أبي طالب عام

(37هـ)، حيث خلعوا ببيعته إذ قبل التحكيم وقاتلوه، وهم فرق شتى.

انظـر: "المقـالات" (ص 86-ومـا بعـدها)، "التنبيــه والـرد" (ص 47- وما بعدها)، "تاريخ الطبري" (5/64).

والقدريّ
َة: هم الذين يزعمون أن العبـد يخلـق أفعـال نفسـه، وأن اللـه لـم يقــدر شــيئًا، وأول مــن قــال بهــا معبــدٌ الجُهَنــي، وقيــل: غيلان الدمشقي، وقيل: سوسن النصراني.

وقد ظهـرت هـذه البدعـة بعـد منتصـف القـرن الأول، ووجـد مـن القدرية من ينكر علم الله بالأشياء قبل وقوعها، ولكنهـم انقرضـوا كما يقول النووي رحمة الله.

انظر: "شرح أصول الاعتقاد" للالكائي (1/23 - مقدمة المحقــق) و(3/534- وما بعدها)، "شرح صحيح مسلم" (1/153-154).

والمرجئة: اشتهر إطلاق هذا الاسم على الذين أخرجوا العمل مـن مسمَّى الإيمان، وكان ظهورهم في أواخر القرن الأول، وقيـل: إن أول من قال به هو غيلان الدمشقي، وهم اثنتا عشرة فرقة.

[35]انظر: مقدمة "شرح أصول الاعتقـاد" (1/25)، "التنـبيه والـرد" (ص 145-وما بعدها).

(35) "تلـبيس إبليـس" لابـن الجـوزي، (ص 19)، وانظـر: "الفتـاوى" (3/351).

والجهمية: أتباع جهم بن صفوان أبي محرز السـمرقندي الترمـذي المقتول سنة (128هـ)، وقد أخذ عن الجعد بـن درهـم بدعـة نفـي الصفات، وأضاف إليها القول بالجبر، والقول بأن الإيمان المعرفــة فحسب، والقول بفناء الجنة والنار، وهم ثمان فرق.

انظر: "مقدمـة شرح أصول الاعتقـاد" (1/30-31)، "المقـالات" (ص 279-280)، "التنــبيه والــرد" (ص 96-ومــا بعــدها)، وانظــر:

"المقالات" (ص 279-280)، "الملل والنحل" للشهرستاني (1/85-86)، "نشأة الفكـر الفلسفي في الإسـلام" للدكتـور علي سامي النشار (1/343 - وما بعدها).

[36](36) "الاعتصام" (2/206).

والمعتزلة: هم أتباع واصل بن عطاء البصري المولود عام (80هـ)، والمتوفى عام (131هـ)، وكان تتلمـذ علـى الحسـن البصـري، ثـم أحدث بدعة المنـزلة بين المنـزلتين، واعتزله وأصحابه.

والمعتزلـة يقولـون بالأصـول الخمسـة: المنــزلة بيـن المنــزلتين، والعدل، والتوحيد، والأمـر بـالمعروف والنهـي عـن المنكـر، وإنفـاذ الوعيد.

انظـر: "المقـالات" (ص 155-ومـا بعـدها)، "العقيـدة الطحاويـة" (ص 588- وما بعدها)، " نشـأة التفكير الفلسفي فـي الإسـلام" (1/373 -وما بعدها).

والمشبِّهة: هم الذين يبالغون فـي إثبـات الصـفات حـتى يشـبِّهون الله بخلقه، وهم مـن الشـيعة الغاليـة، وممـن اشـتهر بـذلك: داود الجواربي، وهشام بن الحكم الرافضي، وبعض أهل البدع ينبز أهل السنة بالتشبيه، وهم منه براء.

[37]انظـر: "المقـالات" (ص 221 و491 و518 و521 و564)، "الملل والنحل" (1/103- وما بعـدها)، "البرهـان فـي عقائـد أهـل الأديان" لعباس بن منصور السكسكي، (ص 20).

والنّ
َجّ
َارية: هي إحدى فرق المرجئة، وتنسب إلى الحسين بن محمد النجار، وهـم يعتقـدون أن الإيمـان هـو المعرفـة والخضـوع، وينفـون الصفات.

انظر: "المقالات" (ص 135- 136)، "البرهان" (ص 20).

(37) انظر: (ص 12-13).

[38] (38) انظر: (1/15).

[39] (39) انظر: (ص 4).

[40] (40) انظر: (ص 19).

[41] (41) انظر: (ص 7-8).

وانظر كتاب "دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين"، للدكتور أحمد محمد أحمد جلبي، (ص 4).

[42] (42) فقد عد شيوخ الرافضة فرق الرافضة ثلاثًا وسبعين فرقة، ونزَّل الحديث عليها، وذلك لأنه يعد سائر فرق الأمة -ومنهم أهل السنة- ليسوا من أمة الإجابة، وإنما هم من أمة الدعوة!!

انظر: "مروج الذهب" للمسعودي (3/221)، "اعتقادات فرق المسلمين والمشركين" للرازي (ص 85)، "دائرة المعارف الإسلامية" (14/67).

[43] (43) والقاديانية: هم أتباع ميرزا غلام أحمد القادياني، وهي نحلة حركها الاستعمار الإنجليزي في صفوف المسلمين بالهند لترويضهم على التسليم بحكم المستعمر، وإخماد روح الجهاد في نفوسهم، وقد ادَّعى زعيمهم النبوة، وأنه المسيح الموعود، وأوَّل العبادات تأويلاً باطنيًا، وكفَّر كل من لم يؤمن بمذهبه الفاسد.

وقد ألَّف العلماء كتبًا عديدة في بيان حقيقة مذهبهم، والرد عليه.

انظر: "القاديانية" لإحسان إلهي ظهير، "ثلاث رسائل عن القاديانية" للندوي والمودودي ومحمد الخضر حسين.

والبهائية: هم أتباع ميرزا حسين علي المازندراني، نشأت نحلتهم في إيران في ظل العقيدة الرافضية، والطريقة الصوفية، وكانت -أيضًا- وفية للاستعمار الروسي، وعلى علاقة صريحة بمحافله ومؤسساته، وكذلك الاستعمار الإنجليزي.

وتقـوم علـى توحيـد الأديـان، والـدعوة إلـى مـا يسـمي بالسـلام العالمي، وترك الحروب، والمساواة بين الجنسين.

وقد ادَّعى زعيمهم المهدية، ثم المسيحية (أي: أنـه المسـيح)، ثـم الألوهية، وقال: إن شريعته ناسخة لجميع الشرائع السابقة.

وقد توفي البهاء حسين علي المازندراني سنة (1309هـ)

انظر: "البهائية" لإحسان إلهي ظهير.

والقوميـون: هـم دعـاة النعـرات الإقليميـة مـن العـرب وغيرهـم، ممّ
َن ينادون بالرابطة الوطنيـة، أو العرقيـة، ويعـدونها أساسًا للوحـدة، ويهدرون العقيدة الدينية، فالمسـلم -عنـدهم- واليهـودي والنصـراني والعلماني تجمعهم رابطة العروبة -إن كانوا عربًا-، ولا علاقة للمسلم العربي بالمسلم غيـر العربـي، وكـان مـن أبـرز دعاتهـا وشـياطينها: ساطع الحصري.

انظر: "فكر القومية العربية في ضوء الإسلام" للشيخ صالح بن عبد الله العبود، الحركات القومية الحديثة في ميزان الإسلام" لمنير محمد نجيب.

[44](44) انظر: "التنبيه والرد" للملطي (ص 18-21).

وقد عرف السبئية بأنهم أصحاب عبد الله بن سـبأ، الـذين يؤلِّهـون عليًّا، ويقولون: أنت أنت! الخالق البارئ المصور.

ومنهـم فرقـة لا يؤلّ
ِهونه، ولكن يزعمون أنه في السحاب، حي لم يمت.

ومنهم فرقة يرون أنه قد مات ولكن يبعـث قبل القيامـة، فيقيم القسـط، ويقاتـل الـدجـ

َال.

وجميعهم يقولون بالبـداء، وأن اللـه قـد يبـدو لـه الأمـر، وهـذا يعنـي وصفهم له بالجهل عياذًا بالله...

أمـــــــــــــــــــــا القرامطـــــــــــــــــــــــة

فعرّ

َفهـــــــم بـــــــأنهم يقولـــــــون: إن اللـــــــه نـــــــورٌ علـــ
(45) سيأتي تخريج الحديث بعد قليل.

46 (46) الإمام أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الذهلي الشيباني المروزي ثم البغدادي: أبو عبد الله، الإمام حقًّا، وشيخ الإسلام صدقًا، ولد سنة (164هـ)، وطلب العلم صغيرًا، فحفظ وحدَّث وبرع في الفقه والحديث والزهد والصبر، ومواقفه في حفظ السنة معروفة، مات رحمه الله سنة إحدى وأربعين ومئتين، وله أخبار طويلة.

انظر: "سير أعلام النبلاء" (11/177-358)، "حلية الأولياء" (9/161-233)، "مناقب الإمام أحمد" لابن الجوزي، وغيرها.

47 (47) الآجُرِّي: هو الإمام أبو بكر محمد بن الحسين الآجُرِّي البغدادي، كان إمامًا عاملاً صاحب سنة واتِّباع، له مصنفات في الشريعة، وأخلاق العلماء، وأخلاق حملة القرآن، وغيرها، توفي سنة (360هـ).

انظر: "تاريخ بغداد" (2/243)، "طبقات الحفاظ" (3/139)، "وفيات الأعيان" (4/292).

48 (48) اللالكائي: هو هبة الله أبو القاسم بن الحسن بن منصور الرازي الطبري اللالكائي، من مشاهير أئمة أهل السنة، صنف كتاب "شرح أصول اعتقاد أهل السنة"، وكتاب "السنن"، وغيرها، وتوفي رحمة الله سنة (418هـ).

انظر: "تاريخ بغداد" (14/70-71)، "سير أعلام النبلاء" (17/419)، "تذكرة الحفاظ" (3/1083).

49 (49) ابن بطة: هو أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العكبري الحنبلي، ولد سنة (304هـ) في عكبرا، وهي

بليـدة علـى دجلـة فـوق بغـداد بخمسـة فراسـخ، وطلـب، ورحـل، وحدَّث، وألَّف، ومـن أشـهر مؤلَّفـاته: "الإبانـة الكـبرى"، و"الإبانـة الصغرى"، المعروف بـ"الشرح والإبانة"، توفي سنة (387هـ).

انظــر: "طبقــات الحنابلــة" لابــن أبــي يعلــى (2/144-153)، "المنتظم" (7/193-197)، "المنهج الأحمد" للعليمـي (2/81-86).

50 (50) انظر في تفصيل هذه المسألة: "الاعتصـام" (2/246- ومـا بعـدها)، "فتـح البـاري" (12/294و 299-303)، "فتـاوى شـيخ الإسـلام" (3/350-354 و 7/217-218)، "شـرح النـووي علـى مسلم" (7/158-174)، "الحوادث والبدع" للطرطوشـي (ص 35- وغيرها).

51 (51) شيخ الإسلام: هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني، المولود سنة (661هـ) بحران، قدم دمشق مع أهله، وتلقى العلم عن الأكابر، وسمع "المسند" والكتب الستة و"معجم الطبراني الكبير" وغيرها، وحفظ القرآن، وكان آية في الحفظ والذكاء وسيلان الذهن، وانتهـت إليـه الإمامـة فـي العلـم والعمـل والزهـد والـورع والشجاعة والكرم والجلالة، والمهابة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

له مواقف مشهورة مع التتر والمصيريين وسائر المبتدعة.

وله مصنَّفات عظيمة حافلة؛ منهـا: "درء تعـارض العقـل والنقـل"، و"الجواب الصحيح"، و"الاستقامة"، وغيرها.

توفي رحمه الله في سجن القلعة سنة (728هـ).

انظر: "العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابـن تيميـة" لابـن عبـد الهادي.

52 (52) "الفتاوى" (7/217).

[53] (53) ابن بطال: هو الإمام أبـو الحسـن علـي بـن خلـف المغربـي المالكي، أصله من قرطبة، روى عن الإمام أبـي عمـر الطلمنكـي، وعُني بالحديث عناية تامـة، وألّـف شـرح البخـاري، وتـوفي سـنة (444هـ)، وقيل سنة (449هـ).

انظر: "الديباج المذهب فـي معرفـة أعيـان علمـاء المـذهب" لابـن فرحون المالكي، (ص 203)، "الصلة" لأبي القاسم خلف بن عبد الملك ابن بشكوال (2/414) (رقم 891).

[54](54) "فتح الباري" (12/301).

والكلام أصلاً جاء في سياق الحديث عن الخوارج، والمقصـود مـن نقله تقرير القاعدة...

[55] (55)

التِّجَانية: طريقة صوفية تنسب إلى أبي العباس أحمد بن محمد بن المختار التِّجَاني -بكسر التاء المثناة وبالجيم المشدة- المولود سنة (1150هـ) في الجزائر.

وهم يقولون بوحدة الوجود، ويدعون في شيوخهم علم الغيب، ويفضلون بعض أدعيتهم وأذكارهم على القرآن الكريم، ويزعمون أن الوحي لم ينقطع، ويطلبون حوائجهم من النبي صلى الله عليه

وسلم، ومن أحمد التِّجَّاني، ويقولون: إن الجنـة مضـمونة للتِّجَّـاني وأتباعه.

انظر: "التجانية" دراسة لأهم عقائـد التجانيـة علـى ضـوء الكتـاب والسنة" للشيخ علـي بـن محمـد آل دخيـل اللـه، وكتـاب "الهدايـة الهادية إلى الطائفة التجانية" للدكتور محمد تقي الدين الهلالي.

[56] (56) شاع استعمال هذا المصطلح وإطلاقـه علـى المنسـوبين إلـى البـدع الاعتقاديـة والعمليـة الغليظـة ممـن يقدّ
ِسـون الأوليـاء، والسـادة، ويعظّ
ِمـونهم، ويحجّ
ُـون إلـى القبـور، ويطوفـون حولهـا، وقـد يصـل
ُون إليها، ويسكبـون عندها العبرات! ويضفـون على النبي صلى اللـه عليـه وسـلم بعـض صفـات الألوهيـة؛ كعلـم الغيـب -بمـا فـي ذلـك المغيّ
َبات الخمس التي لا يعلمها إلا الله- بالإضافة إلى عنايتهم بإحياء البدع العملية؛ كالموالد وغيرها.

[57](57) الأحزاب: 67و 68.

[58](58) غافر: 47و 48.

[59](59) البقرة: 166و 167.

[60](60) الأحزاب: 62.

[61] (61) وقد يتخلى بعض الناس عن طَرْق مسائل الخصومة التى بعث الأنبيـاء بيـان الحـق فيهـا، ويرَكّ

ِـزون علـى مسـائل الاتفـاق العمليـة؛ مـن العبـادات، والأذكـار، والرقائـق، ونحـوها، فتضـعف لديهـم أسبـاب النـزاع، ويتوهّ
َمـون أن هـذا مـن كمـال الاتّ
ِباع والاقتداء والصلاح، وينسون أن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كان يحدُثُ بينهم الشجار والخصام، وقد ترتفع الأصوات في المسجد، وقد يهجر أحدهم الآخر، وكان يوجد بينهم -على الدوام- قضاة لفض الخصومات والمنازعات.

ولا يمكن أن يزعم زاعمٌ أنه بلغ من الهداية والصلاح ما لم يبلغه أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، فإن ادَّعى ذلك؛ كان من الضَّالين.

62 (62) كما في الترمذي المطبوع مع "تحفة الأحوذي"(3/368)، والترمذي المطبوع بمراجعة عبد الرحمن محمد عثمان (7/400)، ونقله العراقي في "تخريج الإحياء" (3/230)، حيث حسن الترمذي حديث عبد الله ابن عمرو بن العاص، من طريق عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي، وقد رجحت -فيما سبق- أنه حسنه لشواهده، والله أعلم.

- أما الطريق الأخرى التي جاء فيها ذكر هذه الصفة؛ فهي من حديث أنس، عند: أسلم بن سهل الواسطي، والعقيلي، والطبراني، والجورقي.

63 (63) الأعراف: 181

64 (64)كما في البيهقي (8/188)، والطبراني في "الكبير" (8/321-329)، واللالكائي (1/102)، والداني في " السنن" (ل 24

-ب)، وغيرها.

[65] (65) عند البيهقي (8/188)، والمروزي (ص 16)، والطبراني (8/320-329)، والحارث؛ كما في " المطالب" (ل 202)، وسيأتي حديث عائشة في المعنى.

[66] (66) آل عمران: 7.

[67] (67) "الاعتصام" (2/262).

[68] (68) "الاعتصام" (2/261)، "فتح الباري" (13/37).

[69] (69) "سنن الترمذي" (4/467).

- ورواه البغوي تعليقًا في "شرح السنة": كتاب الإيمان، باب رد البدع والأهواء، (1/216).

[70] (70) "صحيح البخاري" (8/156).

[71] (71) انظر:"شرح أصول الاعتقاد" للالكائي (1/108-109)، "الحوادث والبدع" لأبي شامة (ص 12).

[72] (72) انظر: "الاعتصام" (2/260و 264)، "فتح الباري" (13/37).

[73] (73) رواه مسلم في...

[74] (74) سيأتى في أواخر هذا المبحث الحديث عن أهل الحديث، وأهل السنة والجماعة، باعتبارهما مسميين للفرقة الناجية.

[75] (75) المأمون: هو عبد الله بن هارون الرشيد العباسي القرشي الهاشمي، أبو جعفر، ولد سنة (170هـ)، وتولى الخلافة بعد مقتل أخيه الأمين سنة (198هـ)، واستمر فيها عشرين سنة وأشهر، وكان فيه تشيُع واعتزال وجهل بالسنة، وفي عهده اشتهرت مسألة القول بخلق القرآن، وفتن عليها العلماء، ومع هذا كله كان فيه شهامة وقوة ومصابرة للأعداء من الروم وغيرهم، توفي سنة (218هـ)

بطرسوس.

انظر: "البداية والنهاية" لابن كثير (10/311).

[76](76) الدَّخن: هو الكدورة وعدم الصفاء.

"النهاية" (2/109).

[77] (77) رواه البخاري في:61- كتـاب المنـاقب، 25- بـاب علامـات النبوة في الإسلام، (4/178).

وفي: 92- كتاب الفتن، 11- باب كيف الأمر إذا لم تكـن جماعـة، (8/93).

ومسلم في: 23- كتاب الإمارة، 13- باب وجـوب ملازمـة جماعـة المسلمين، (رقم 51-52)، (3/1475-1476).

وابن ماجه في: 36- كتاب الفتن، 13- بـاب العزلـة، حـديث (رق م 3979) (2/1317) مقتصرًا على قوله:" يكون دعاة علـى أبـواب جهنم..." الحديث.

وحديث (رقم 3981)، (2/1317) بلفظ:" تكون فتن على أبوابها دعاة إلى النار، فأن تموت وأنت عاضٌّ على جذل شـجرة خيـر لـك من أن تتبع أحدًا منهم".

وأبـو عوانـة فـي "الصـحيح المسـند": كتـاب الأمـراء، بـاب الخـبر الموجب الاعتصام بالإمام والجماعة في الفتنة، (4/474و 475).

ورواه بلفظ آخر، وإسناد مختلف، وفي أوله قصة: أبـو داود فـي: 29- كتاب الفتن والملاحـم، 1- بـاب ذكـر الفتـن ودلائلهـا، (رقـم 4244-4247)، (4/444-448).

والنسـائي فـي "الكـبرى" فـي: 47- فضـائل القـرآن، 27- الأمـر بتعليم القرآن واتباع ما فيه (ل:105/أ).

وفي: 28- الأمر بتعليم القرآن والعمل به (ل:105/أ).

وهو فى "الفضائل" المطبوع، في البابين المذكورين، برقم (57 و 58)، (ص 84- 85).

وأحمد في "المسند" (5/386 و 403)، وفي (406) مختصرًا.

وعبد الرزاق في: باب لزوم الجماعة، (رقم 20711)، (11/341).

وابن أبي شيبة في: كتاب الفتن، (2449)، من كره الخروج في الفتنة وتعوذ منها (رقم 18960-18961)، (15/908)، و(رقم 18980) (15/17) مختصرًا.

والحاكم في "المستدرك" كتاب الفتن والملاحم (4/432)، وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي.

[78] (78) سيأتى الحديث عن العزلة -مفصلاً- في الكتاب الرابع من هذه السلسلة بإذن الله.

[79] (79) الأحزاب: 36.

[80] (80) جاء في الحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**لا يؤمن أحدُكم حتى يكون هواه تَبَعًا لما جئت به**".

ذكره الإمام النووي في "الأربعين"، وقال: "حديث حسن، رويناه في كتاب "الحجة" بإسناد صحيح".

ويعني بكتاب "الحجة على تاركي سلوك طريق المحجة"، للشيخ أبي الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي الشافعي رحمة الله وهو في عقائد أهل السنة.

ونسبه ابن رجب الحنبلي في "جامع العلوم والحكم"، لأبى نعيم في الأربعين، وعنه الطبراني، ثم لأبي بكر بن عاصم.

وقال ابن رجب: "تصحيح هذا الحديث بعيد جدًا من وجوه:

منها: أنه حديث ينفرد به نعيم بن حماد المروزي.

ومنها: أنه قد اختلف على نعيم في إسناده: فروي عنه الثقفي عن هشام، وروي عنه عن الثقفي حدثنا بعض مشيختنا حدثنا هشام أو غيره، وروي عن الثقفي حدثنا بعض مشيختنا حدثنا هشام أو غيره.

ومنها: أن في إسناده عقبة بن أوس السدوسي البصري: قال الغلابي في "تاريخه": "يزعمون أنه لم يسمع من عبد الله بن عمرو، وإنما يقول: قال عبد الله بن عمرو، فعلى هذا تكون روايته عن عبد الله بن عمرو منقطعة...".

انظر: "جامع العلوم والحكم" (ص 281-282).

81 (81) سورة القتال: 8-9.

82 (82) الأعراف: 179.

83 (83) انظر: "تفسير الطبري" (9/133-134)، " تفسير البغوي" (2/218).

84 (84) الأعراف: 180.

وسيأتي حديث عائشة وغيره في ذلك.

85 (85) الأعراف: 181.

86 (86) انظر: "تفسير الطبري" (9/135).

87 (87) آل عمران: 7.

88 (88) رواه البخاري في: 65- كتاب التفسير، 3- سورة آل عمران، 1 - **(مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ)**، (5/166).

- ومسلم في: 47- كتاب العلم، 1- باب النهي عن اتباع متشابه القرآن، (رقم 1)، (4/2053).

- وأبو داود في: 34- كتاب السنة، 2- باب النهي عن الجدال واتباع المتشابه من القرآن، (رقم 4598)، (5/6).

- والترمذي في: 48- كتاب تفسير القرآن، 4- باب ومن سـورة آل عمران، (رقم 2993و 2994)، (5/222)، وقال: "هذا حديث حسن صحيح".

- والدارمي في: المقدمة، 19- باب مَن هـاب الفتيـا وكـره التنطُّـع والبدع، (رقم 147)، (1/51).

- وأحمد في "المسند": (6/124و 132).

- والآجُرِّي في "الشريعة": باب ذكر السنن والآثار، (ص 26)، بلفظ: "إذا رأيتُم الذين يجادلون فيه فهم الذين عنى الله... ".

- وأبو داود الطيالسي في: مسند عائشـة، (ص 203)، وفيـه: "قالهـا ثلاثًا".

- والطبري في "التفسير": سورة آل عمران، (3/178-180).

- واللالكائي في "شرح أصول الاعتقاد": سياق مـا روي عـن النـبي صلى الله عليه وسـلم فـي النهـي عـن منـاظرة أهـل البـدع، (رقـم 187)، (1/118).

- وأبو نعيم في "الحلية": ترجمة القاسـم بـن محمـد بـن أبـي بكـر، ورقمهـا (172)، (2/185)، وفيـه: "إذا رأيتـم الـذين يسـألون عمّا تشابه فيه...".

- والبغوي في "التفسير": سورة آل عمران، (1/279).

- والبيهقي في "دلائل النبوة": باب ما جاء في إخباره باتباع مَن كان في قلبه زيغٌ متشابهات الكتاب، (6/545 و 546).

- وذكره ابن كثير في: "تفسيره"، ونسبه لابن أبي حاتم وابن المنذر في "تفسيريهما" (1/345).

- ونسبه السيوطي في "الدر المنثور" أيضًا لعبد الرزاق وسعيد بـن منصور وعبد بن حميد وابن حبان (2/148).

89 (89) الرّ
َمِيّ
َة: بكسر الميم وتشديد اليـاء: فعيلة بمعنى مفعولة، وهي الصيد المرمي، شبه مروقهم من الدين بالسهم الذي يصيب الصيد، فيدخل فيه، ويخرج منه، ومن شدة سرعة خروجه لقوة الرامي لا يعلق بالسهم من جسد الصيد شيء، لا فرث ولا دم!

انظر: "فتح الباري" (6/618).

90 (90) النصل: هو حديدة السهم.

"الفتح" (6/618).

91 (91) الرصاف: بكسر الراء، ثم صاد مهملة، ثم فاء موحدة - أي: عصب به الذي يكون فوق مدخل النصل، والرصاف جمع، مفرده: رصفة؛ بحركات.

92 (92) النّ
َضِيّ: بفتح النون وكسر الضاد المعجمة وبعدها ياء مشددة، فسـ

َره في الحديث بالقِدْح - بكسر القاف وسكون الدال-؛ أي: عود السهم قبل أن يراش وينصل، وقيل: هو ما بين الريش والنصل.

قال ابن فارس: "سمي بذلك لأنه بُرِيَ حتى عاد نِضْوًا؛ أي: هزيلاً، وعليه؛ فالنضي: فعيل بمعنى مفعول".

انظر: "الفتح" (6/618-619).

93 (93) القذذ: بضم القاف، بعدها ذال معجمة مفتوحة، جمع: قذة، وهي ريش السهم. "الفتح" (6/619).

94 (94) أي: أن السهم لسرعته خرج من الصيد، وسبق الفرث الذي في كرشه، والدم الذي في عروقه، فلم يظهر لهما فيه أثر.

انظر: "عمدة القاري" للعيني (16/143).

95 (95) الحديث رواه البخاري في: 61- كتـاب المنـاقب، 35- بـاب علامات النبوة في الإسلام، (4/179).

وفي: 60 - كتاب الأنبياء، 6- باب قوله تعالى: **(وَإلى عَاد أَخَاهُمْ هُودًا)**، (4/108).

وفي: 64- كتاب المغازي، 61- بعث عليٌّ بن أبي طالب وخالد ابن الوليد رضي الله عنهما إلى اليمن، (5/110).

وفـي: 66- كتـاب فضـائل القـرآن، 36- بـاب مـن راءى بقـراءة القرآن، (6/115).

وفي: 88- كتاب استتابة المرتدين، 7- باب من ترك قتال الخوراج للتألف، (8/52).

وفـي: 97- كتـاب التوحيـد، 23- بـاب قـول اللـه تعـالى: **(تَعْـرُجُ المَلائِكةُ والرُّوحُ إليه...)**، (8/177).

- ومسلم في 12- كتاب الزكاة، 47- باب ذكر الخوارج وصفاتهم، (رقم 143-149)، (2/740-746).

- وأبو داود في: 34- كتاب السنة، 31- بـاب فـي قتـال الخـوارج، (رقم 4764)، (5/121).

- والنسائي في: 22- كتاب الزكاة، 79- المؤلفة قلوبهم، (5/87).

- وفي: 37- كتاب تحريم الدم، 26- من شهر سيفه ثم وضعه في الناس، (7/118).

- وابن ماجه: المقدمة، 12- باب ذكر الخوارج، (رقم 169)، (1/60).

- ومالك في "الموطأ": 15- كتاب القـرآن، 4- بـاب مـا جـاء فـي القرآن، (رقم 10)، (1/204).

- وأحمد في " المسند" (3/5و 15و 33و 52و 60و 64و 68و 73).

- وأبو داود الطيالسي في "مسـنده": الأفـراد عـن أبـي سـعيد، (ص 296).

96 (96) انظر: "عمدة القاري" (16/143)،"فتح البــاري" (6/618-619).

97 (97) "فتح الباري" (6/618).

98 (98) البقرة:81.

99 (99) الجن: 23.

100 (100) الليل: 14-16.

101 (101) النساء:48.

102 (102) النساء:31.

103 (103) الحجرات: 9.

104 (104) انظر: "الإيمان" لأبي عبيـد، (ص 84-102)، وغيـره مـن كتب عقائد أهل السنة.

105 (105) انظر: "فتح الباري" (6/618).

106 (106) مقدمة "صحيح مسلم" (1/13).

107 (107) مقدمة "صحيح مسلم" (1/13).

108 (108) هذه رواية أبي عوانة (5/106)، وسيأتي الحديث، ورواياته في الفصل الثاني، من هذا الكتاب.

109 (109) عافسنا-بالفاء والسين المهملة-؛ أي: عالجناه، ومارسناه، واشتغلنا به.

انظر:"شرح النووي" (17/66).

110 (110) الضيعات: جمع ضيعة، وهي معاش الإنسان؛ من مال، أو حرفة، أو صناعة، أو غيرها.

انظر: "شرح النووي" (17/66).

111 (111) الحديث رواه مسلم في: 49- كتاب التوبة، 3- باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة والمراقبة، وجواز ترك ذلك في بعض الأوقات والاشتغال بالدنيا، (رقم 12-13)، (4/2106-2107).

- والترمذي في: 38- كتاب صفة القيامة، 20- باب، (رقم 2452)، (4/634)؛ مقتصرًا منه على قول النبي صلى الله عليه وسلم دون قوله: "**ساعة وساعة**"، وقال: "هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه".

- وابن ماجه في: 37- كتاب الزهد، 28- باب المداومة على العمل، (رقم 4239)، (2/1416) بتمامه.

- وأحمد في "المسند" (4/178و 346).

وله شواهد:

أ- منها حديث أنس بنحوه عند الإمام أحمد (3/174).

ب- ومنها حديث أبي هريرة عند الترمذي: 39- كتاب صفة الجنة، 2 - باب ما جاء في صفة الجنة ونعيمها، (رقم 2526)، (4/672)، وفيه: "... **ولو لم تذنبوا لجاء الله بخلق جديد كي يذنبوا فيغفر لهم"** وفي آخره زيادة.

- قال أبو عيسى: "هذا حديث ليس إسناده بذاك القوي، وليس هو عندي بمتصل، وقد رُوِيَ هذا الحديث بإسناد آخر عن أبي مدله، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم".

وذلك أنه (أي: الترمذي) رواه من طريق زياد الطائي عن أبي هريرة.

- وزياد هذا قال فيه الذهبي: "لا يُعْرف... لين الترمذي حديثه" "الميزان" (2/96).

- أما رواية أبي المدله؛ فهي في "المسند" (2/304)، وفيه قوله: "لو لم تذنبوا..."، والزيادة بعدها.

112 (112) البيتان وردا في" العقد الفريد" لابن عبد ربه (1/96، 6/124 و 137).

والبيت الأول -فحسب- ورد في: " أسماء المغتالين في الجاهلية والإسلام" لمحمد بن حبيب البغدادي، ضمن نوادر المخطوطات، جمع عبد السلام هارون، (6/161)، و"اللسان"، (مادة: قدر) (5/75)، وغيرهما.

113 (113) هو جبير بن نفير الحضرمي، تابعي جليل، وأحد رواة الحديث، وستأتي ترجمته.

114 (114) رواه الترمذي في: 42- كتاب العلم، 5- باب ما جاء في ذهاب العلم، (رقم 2653)، (5/31) بهذا اللفظ، وقال: "هذا حديث حسنٌ غريبٌ، ومعاوية بن أبي صالح: ثقة عند أهل الحديث، ولا نعلم أحدًا تكلّم فيه غير يحيى بن سعيد القطان، وقد رُوي عن معاوية بن صالح نحوُ هذا، وروى بعضهم هذا الحديث عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه عن عوف بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم.

- والدارمي في: المقدمة، 29- باب من قال: العلم الخشية وتقوى الله، (رقم 294)، (1/75).

- والطحاوي في "مشكل الآثار"، في: باب بيان مشكل ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في رفع العلم عن الناس،

وقبضة منهم، (1/124).

- وأشار إليه أبو نُعيم في "الحلية" في: ترجمة جبير بن نفير، رقمها (305)، (5/138).

- والحاكم في "مستدركه": كتاب العلم، (1/99)، وقال: "هذا إسناد صحيح من حديث البصريين"، ووافقه الذهبي.

- كلهم من طريق عبد الله بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير، عن أبيه، عن أبي الدرداء- إلا أنه سقط من إسناد الطحاوي معاوية بن صالح.

- وعبد الله بن صالح هو: كاتب الليث، صدوق كثير الغلط.

- أما معاوية بن صالح؛ فهو: ابن حدير الحضرمي، وثّقه أحمد، وابن معين -في رواية-، وعبد الرحمن بن مهدي، وأبو زرعة، والعجلي، والنسائي، وغيرهم، وضعّفه القطان -كما سبق في كلام الترمذي-، وقال الذهبي: "صدوق إمام".

انظر: "التهذيب" (10/209)، "الكاشف" (3/139).

- وعبد الرحمن بن جبير بن نفير الحضرمي: وثقه أبو زرعة، والنسائي، وابن حبان، وقال أبو حاتم: "صالح الحديث"، وقال ابن سعد: "كان ثقة، وبعض الناس يستنكر حديثه"، وقال الذهبي وابن حجر: "ثقة".

"التهذيب" (6/154)، "الكاشف" (2/142)، "التقريب" (1/475).

- أما أبوه فمخضرم ثقة.

انظر: "التهذيب" (2/64)، "التقريب" (1/126).

- فالحديث بهذا الإسناد فيه ضعف؛ لحال عبد الله بن صالح.

ولكن له شواهد كثيرة؛ منها:

أولاً: حديث زياد بن لبيد:

- رواه ابن ماجه في: 16- كتاب الفتن، 14- باب ذهاب القرآن والعلم، برقم (4048)، (2/1344).

- والإمام أحمد (4/218و 219).

- والطحاوي في بيان مشكل ما روي عن رسول الله في رفع العلم عن الناس، (1/124).

- والحاكم في: كتاب العلم، (1/100)، وقال:" قد ثبت الحديث بلا ريب فيه، برواية زياد بن لبيد، بمثل هذا الإسناد الواضح".

- والبخاري في "التاريخ الكبير": في ترجمة زيادة، ورقمها (1163)، (3/344).

- كلهم من طريق وكيع، حدثنا الأعمش، عن سالم بن أبي الجعد، عن زياد.

- ووكيع: هو ابن الجراح بن مليح الرؤاسي: ثقة، حافظ، عابد.

"التقريب" (2/331)، وانظر: "التهذيب" (11/123).

- والأعمش: هو سليمان بن مهران الأسدي: ثقة، حافظ، مدلس، وقد احتمل الأئمة تدليسه.

"التقريب" (1/331)، وانظر: "التهذيب" (4/222)، "تعريف أهل التقديس" (ص 67).

لكن قال البخاري: "قال وكيع: عن الأعمش، عن سالم، عن زياد، وهو مرسل لا يصح".

"التاريخ الصغير" (1/41)، وانظر: "الكبير" (3/344).

- وهذا الحديث المرسل -على رأي البخاري- يرتقي بالذي قبله إلى درجة الحسن.

- وقد رواه الحاكم أيضًا من طريق آخر عن سالم عن زياد في: كتاب معرفة الصحابة، ذكر زياد بن لبيد الأنصاري، (3/590)، وقال: "صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه".

- ورواه الحافظ أبو خيثمة زهير بن حرب النسائي في كتاب العلم، من طريق الأعمش، برقم (52)، (ص 121).

ثانيًا: وله شاهد من حديث عوف بن مالك.

- وفيه: "فلقي جبير بن نفير شداد بن أوس بالمصلى، فحدثه هذا الحديث عن عوف بن مالك، فقال: صدق عوف. ثم قال: وهل تدري ما رفع العلم؟ قال: قلت: لا أدري. قال: ذهاب أوعيته. قال: وهل تدري أي العلم أول أن يرفع؟ قال: قلت: لا أدري, قال: الخشوع، حتى لا تكاد ترى خاشعًا... ".

- رواه النسائي في " الكبرى"، في: 27- كتاب العلم، 41- قوله جل ثناؤه: **(وَمَا أُوْتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَليلاً)** (ل: 77/أ).

وأحمد في "المسند" (6/26)، ولفظ الزيادة منه.

والبزار؛ كما في "كشف الأستار": كتاب العلم، باب ذهاب العلم وأهله، (رقم 232)، (1/123)، وقال الهيثمي في "المجمع": "وفيه -يعني: لإسناد البزار- عبد الله بن صالح كاتب الليث، قال عبد الملك بن شعيب: كان ثقة مأمونا، وضعفه الباقون".

"المجمع" (1/200).

- ولم يذكر البزار لقاء جبير لشداد بن أوس.

- نسبه الهيثمي للطبراني في "الكبير" -كاملاً-: "المجمع"، كتاب العلم، باب ذهاب العلم، (1/200).

- ورواه أو نعيم في "الحلية" في: ترجمة جبير بـن نفيـر، ورقمهـا (305)، (5/138).

ثم في: ترجمة إبراهيم بن أبي عبلة، ورقمها (321)، (5/247).

- ورواه الطحاوي في "المشكل"، في: باب بيان مشـكل مـاروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في رفع العلم، (1/122-124).

- وابن حبان في "صحيحه"؛ كما في "الموارد": 2 - كتاب العلـم، 21 - باب رفع العلم، (رقم 115)، (ص 59).

- والحاكم في "مستدركه": كتاب العلـم، (1/99)، وقـال: "هـذا صحيح، وقد احتج الشيخان بجميع رواته، والشاهد لذلك فيه شـداد بن أوس، فقد سمع جبير بن نفير الحديث منهما جميعًا ومن ثـالث من الصحابة هو أبو الدرداء"، ووافقه الذهبي.

- ورواه الخطيب البغدادي في "اقتضاء العلم العمل": بـاب فـي التغليظ على من ترك العمل بالعلم، برقم (89) (ص 189).

ثالثًا: ومن حديث ابن عمر.

- رواه البزار، كما في "كشف الأستار": كتاب العلم، باب ذهـاب العلم وأهله، رقم (235)، (1/125).

- وقـال الهيثمـي: "وفيـه سـعد بـن سـنان، وقـد ضعفه البخاري ويحيى ابن معين وجماعة؛ إلا أن أبا مسهر قـال: حـدثنا صدقة بن خالد، قال: حدثني أبو مهدي سعيد بن سنان مـؤذن أهـل حمص، وكان ثقة مرضيًا".

"المجمع" (1/200).

رابعًا: ومن حديث وحشي بن حرب.

- رواه الطبراني في "الكبير": فيما أسند وحشي، (رقم 365)، (22/137).

- وقال الهيثمي في "المجمع": "وإسناده حسن" (1/201).

خامسًا: ومن حديث صفوان بن عسال:

- رواه الطبراني في "الكبير": في ترجمة أبي سلمة بن عبد الرحمن عن صفوان، (رقم 7398)، (8/85).

- وقال الهيثمي في "المجمع": "وفيه مسلمة بن علي الخشني، وهو ضعيف" (1/201).

سادسًا: ومن حديث أبي أمامة.

- رواه أحمد في "المسند": (5/266).

- ورواه الطبراني في "الكبير": في ترجمة معان بن رفاعة السلمي، عن علي بن يزيد، من مسند أبي أمامة، (رقم 7867)، (8/256).

- وقال الهيثمي: "وإسناد الطبراني أصح؛ لأن في إسناد أحمد علي ابن زيد، وهو ضعيف جدًا، وهو عند الطبراني من طرق، في بعضها الحجاج بن أرطأة، وهو مدلس، صدوق، يكتب حديثه، وليس ممن يتعمد الكذب".

"المجمع" (1/200).

- وعلي بن يزيد -وهو الألهاني- هو في إسناد الطبراني في هذا الموضع.

- ولكن رواه أيضًا: في ترجمة الوليد بن أبي مالك، عن أبي أمامة، برقم (7906)، (8/276)، وفي إسناده الحجاج بن أرطأة.

وانظر كلام الهيثمي السابق.

- فالحديث بهذه الطرق حسن.

115 (115) سبق التعريف بالخوارج، وعقائدهم، والإحالة إلى المصادر التي تحدَّثت عنهم.

116 (116) طرف من حديث:

- رواه البخاري في: 2- كتاب الإيمان، 39- باب فضل من استبرأ لدينه، (1/19).

- ومسلم في: 22- كتاب المساقاة، 20- باب أخذ الحلال وترك الشبهات، (رقم 107)، (3/1219).

- وابن ماجه في: 36- كتاب الفتن، 14- باب الوقوف عند الشبهات، (رقم 3984)، (2/1318).

- والدارمي في: 18- ومن كتاب البيوع، 1- باب في الحلال بيِّن والحرام بيِّن، برقم (2534)، (2/161).

- وأحمد في "المسند": (4/270 و274).

117 (117) رواه البخاري في: 3 - كتاب العلم، 20 - باب فضل من عَلِمَ وعلَّم، (1/28).

- ومسلم في: 43- كتاب الفضائل، 5- باب بيان مثل ما بُعث به النبي صلى الله عليه وسلم من الهدى والعلم، (رقم 15)، (4/1787).

- والنسائي في "الكبرى": 27 - كتاب العلم، 4 - مثل مَن فقه في دين الله تعالى، (ل: 75/ب).

- وأحمد في "المسند": (4/399).

- وأبو الشيخ الأصبهاني في كتاب "الأمثال": برقم (326)، (ص 221).

- وأبو يعلى في "مسنده": مسند أبي موسى الأشـعري، (ل: 672).

- والبغوي في "شرح السنة": كتاب العلم، باب التفقه في الـدين، (1/287).

[118] (118) هو: أحمد بن عمر بن إبراهيم، أبو العباس الأنصاري، فقيه مـالكي، ومحدث، يعرف بابن المزين، ولـد بقرطبـة عـــام (578 هـ)، توفي بالإسـكندرية عـام (656هــ)، لـه كتـاب: المفهـم لمـا أشكل من تلخيـص كتـاب مسـلم"، وهـو غيـر القرطـبي صـاحب "التفسير".

انظر: "البداية والنهاية" (13/202)، "الأعلام" (1/186).

[119] (119) نقله ابن حجر في "فتح الباري" (1/177).

[120] (120) آل عمران: 110.

[121] (121) الأعراف: 118.

[122] (122) ماعز: هو ابن مالك الأسلمي رضي الله عنه.

[123] (123) وتسمى الجهنية؛ لأن غامد بطن من جُهينة. انظر: "شرح النووي على مسلم" (11/201).

[124] (124) رواه البخاري في: 86 - كتاب الحدود، 29 - باب سـؤال الإمام المقر: هل أحصنت؟ (8/24).

وفــي: 68 - كتــاب الطلاق، 11 - بــاب الطلاق فــي الإغلاق، (6/169).

- ومسلم في: 29 - كتـاب الحـدود، 5- بـاب مـن اعـترف علـى نفسه بالزنا، (رقم 16)، (3/1318).

- والنسائي في "الكبرى": 40- كتـاب الرجـم، 6- ذكـر استقصـاء الإمام على المعترف عنده بالزنا، (ل: 93 / أ).

(ل: 9/أ) ذكر الاختلاف على الزهري في حديث ماعز (93-أ).

(ل: 9/ب) ذكر اختـلاف الزهري ويحيى بن سعيد على سعيد ابـن المسيب، في الحديث (ل: 93/ب).

- وأحمد في "المسند" (2/450 و453).

- والبيهقي في "السنن": كتاب الحدود، باب ما يستدل بـه علـى شرائط الإحصان، (8/213).

وفي: باب المعترف بالزنا يرجع عن إقراره فيترك، (8/228).

وفي: باب من قال: لا يقام عليه الحد حتى يعترف أربع مــرات، (8/225-227).

وفي: باب من أجاز ألا يحضر الإمام المرجومين، (8/219).

125 (125) رواه مسلم في: 29 - كتاب الحـدود، 5 - بـاب المـرأة التي أمر النبي – صلى الله عليه وسلم – برجمها رقم (4442)، (4/588).

- والنسائي في "الكبرى" في: 40 - كتاب الرجم، 12 - نوع آخر من الاعتراف (ل: 93/ب).

- والدارمي في: 13 - ومن كتاب الحدود، 17 - باب الحامـل إذا اعترفت بالزنا، (رقم 2329)، (2/100).

- وأحمد في "المسند": (5/348).

- والبيهقي في "السنن": كتاب الحدود، باب ما يسـتدل بـه علـى شرائط الإحصان، (8/214).

وفي: باب حفر المرجوم والمرجومة، (8/221).

وفي: باب من قــال لا يقام الحد حتى يعترف أربع مرات، (8/226).

وفي: باب الحبلى لا ترجم حتى تضع ويكفل ولدها (8/229).

- والدارقطني في: كتاب الحدود والديات وغيره، برقم (39)، (3/91).

126 (126) "شرف أصحاب الحديث" (ص 25).

- وفي سنده انقطاع، حيث قال إبراهيم بـن محمـد بـن الحسـن: حُدِّثْتُ عن أحمد...

- ولم أقف على تراجم رجال الإسناد؛ إلا إبراهيم بن محمد الحسن، حيث توجد ترجمة بهذا الاسم في "ذكر أخبـار أصـبهان" (1/189)، "وطبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها" لأبي الشيخ (3/224).

127 (127) "معرفة علوم الحديث" للحاكم، (ص 2-3).

128 (128) "شرف أصحاب الحديث" (ص 9)..

129 (129) "تأويل مختلف الحديث" لابن قتيبة، (ص 73-74).

130 (130) انظر المصـدرين السابقين، و"ردّ الإمـام الـدارمي علـى بشـــر المريســي" (ص 142 - ومـا بعـدها)، و"معـــرفة علـــوم الحديث" للحاكم (ص 3-4)، و"فضـــل علـم السـلف علـى علـم الخلف" لابن رجب الحنبلي، و"عقيدة السلف أصـحاب الحـديث" للإمام الصابوني، (ص 99-100)، ورسالة "مكانة أهـل الحديث" للشيخ ربيع بن هادي المدخلي، (ص 10-14)، وغيرها.

131 (131) الجذع أو الجذل: هو أصل الشجرة إذا قطـع، وقـد يطلـق على العود.

انظر: "النهاية" (1/251).

132 (132) "تأويل مختلف الحديث" (ص 13).

133 (133) "تأويل مختلف الحديث" (ص 15).

134 (134) "تأويل مختلف الحديث" (ص 14).

135 (135) "تأويل مختلف الحديث" (ص 16).

136 (136) نقلها الشيخ الخضري عن القاضي الكرخي في كتاب: "تاريخ التشريع الإسلامي" (ص 332).

137 (137) قاله أحمد الصاوي في "حاشيته على الجلالين": سورة الكهف، عند تفسير قوله تعالى: **(وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللهُ)**، (الآية 23) (3/10).

138 (138) وانظر ما سبق في آخر خصائص الفرقة الناجية.

139 (139) نقله النووي في "شرحه على مسلم" (13/67).

140 (140) المائدة: 14.

141 (141) ابن رجب في: "كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة"، (ص 26-28).

142 (142) الآلوسي في "غاية الأماني في الرد على النبهاني" (1/428).

143 (143) هو: الإمام أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، المولود بقرطبة عام (384هـ)، والمتوفى عام (456 هـ)، صاحب التصانيف النافعة، ومن أعظمها كتاب "المحلى" في الفقه.

له ترجمة حافلة في "السير" (18/184-212)، وفي "الصلة" (2/415-417).

144 (144) "الفصل في الملل والأهواء والنحل" (2/271).

145 (145) هو: شهفور بن طاهر بن محمد الإسفراييني، الإمام، الأصولي، الفقيه، المفسر، أخذ الحديث عن أصحاب أبي العباس الأصم، له تصانيف منها: "تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم"، طبع بإيران، وكتاب:"التبصير في الدين"، وغيرها.

انظر: "طبقات الشافعية" (5/11)، "تبيين كذب المفتري" لابـن عساكر (ص 276).

146 (146) "التبصير في الدين" (ص 185).

147 (147) جاء هذا المعنى في أحاديث الرؤية عن عدد من الصحابة؛ منها: حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وفيه:

"إذا كـــــــــــان يـــــــــــوم القيامـــــــــــة؛ أذّ
َن مؤذن: تتبع كل أمة ما كانت تعبد، فلا يبقى من كان يعبد غير اللـه من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار... حتى إذا لـم يبـق إلا مـــــــن كـــــــان يعبـــــــد اللـــــــه مـــــــن بـــ

149 (149) سيأتي تخريج حديث: "**يأتي على الناس زمان: القابض فيه على دينه كالقابض على الجمر**"، في الكتاب الثالث، الفصل الثاني: الصبر والثبات، ضمن سلسلة الغرباء.

150 (150) "مدارج السالكين" (3/197).

151 (151) "مدارج السالكين" (3/198).

152 (152) ص: 36.

153 (153) هي الفصل الكامل بين الـدين والحيـاة، وصـرف النـاس عن الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بالحياة الدنيا وحدها.

وليس بين (العلمانية) و(العلم) الذي تنسب إليـه صـلة مـا سـوى التضليل والخداع.

انظر: "العلمانيـة وأثرها في الحيـاة الإسلامية" لسـفر الحـوالي، "مذاهب فكرية معاصرة" لمحمد قطب، (ص 445).

* * *